السنة الرابعة عشرة[1] من الهجرة

وفيها كانت وقعةُ القادسيّةِ، وإنَّما سُمِّيت القادسيّة لأن ابراهيم الخليل عليه السلامُ قَدَّسها وبارك حولها، أو عليها، وذكرها الجوهري فقال: ويُقال: إنَّ القادسية دعا لها إبراهيم بالقدُس، وأن تكون مَحَلَّة الحاجّ[2].

وقال هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: لمَّا خرج ابراهيمُ عليه السلام من كُوثى ـ وهي محلَّةٌ بأرضِ بابل ـ مُهاجراً إلى الله، كان راكباً على حمارٍ، ومعه ابنُ أخيه لوط عليه السلام يسوق غَنَماً له، فنزلوا بقريةٍ يُقال لها: بانِقْيا، وكانت تُزَلْزَلُ كلَّ ليلةٍ، فبات بها يُصلّي طولَ ليلته، فلم تُزلزل في تلك الليلةِ، فاجتمع إليه أهلُها، وسألوه المقام عندهم، فأبى، ثم رحل إلى القادسيةِ، فجاءته عجوزٌ بغَسولٍ فقالت: أراك شعثاً، اغسِلْ بهذا رأسَك ولحيتَك، ففعل، ثم قال لمكان القادسيةِ: كوني مُقَدَّسةً، فيك ينزلُ وَفدُ الله، وفيك تحطُّ رحالُهم، فسمِّيت القادسيةُ بدعوته[3].

قال: ولمّا مرَّ بموضعِ جامع الكوفة وَجد أساسه الذي بناه نوحٌ قائماً، وكان قد نسفه الغرقُ فاشتراه بالحمار، ورفعه مقدارَ ذراعٍ، ثم خرج إلى الجزيرة، ومرَّ بحرّان، وقد ذكرنا طرفاً منه في ترجمته[4].

ذكر السبب الذي أهاج أمر القادسيّة

لما مَخَرَ المثنى بن حارثة بلادَ فارس بالغارات ما بين دجلة والفرات اجتمع أهل فارس إلى رُستم والفَيرزان ـ وكانا مختلِفَيْن ـ فقالوا لهما: قد أوهنتُما مملكةَ فارس، وأطمعتُما فينا عدوَّنا، وما بعد ساباط إلا المدائن، فإما أن تتَّفقا، وإلاّ ذهبت المدائن، وذهب ملك فارس، ولولا أن في قتلكما وَهَن فارس لقتلناكما، وإن قتلكما أهونُ من

(١) في (أ) و(خ): السنة الثالثة عشرة، وهو خطأ.
(٢) الصحاح (قدس).
(٣) المنتظم ٤/ ٢١٩ـ٢٢٠، وانظر معجم ما استعجم ١/ ٢٢٢، ومعجم البلدان ٤/ ٢٩١، والروض المعطار ٤٤٧.
(٤) من هنا إلى قوله: فصل وقد مدح بعض الناس الكوفة، ليس في (ك)، وهو دليل على الاختصار.

شماتة الأعداء بنا، فأرسل رستم والفيرزان إلى بوران بنت كسرى: سلي نساء كسرى وسراريّه، هل له ولد، فأرسلت إليهن، فأنْكرن، فهُدِّدنَ بالعذاب، فأَقْرَرْن بغلام اسمه يَزْدَجِرد، من ولد شَهْريار بن كسرى، وأنه عند أمّه، وهي من أهل بادَرايا[1]، فأرسلوا إلى أمه، فجاءت وهو معها، فسألوها عنه، فقالت: كنا في القصر الأبيض، فلما قتل كسرى الذّكور من أولاد الملوك، هربتُ به إلى أخواله خوفاً عليه، وكان ابنَ إحدى وعشرين سنة، فملّكوه عليهم.

وهو يزدجرد بن شَهْريار بن أبرويز، وسمّي المشؤوم؛ لأن الفُرس كانت ترى أنه يزول مُلكهم على يده، وصِغر سِنّه هو الذي أوجب تمليك بوران وأختها، وقيل: كان قد نُفي إلى خراسان، فأحضروه وهو ابن خمس وعشرين سنة، ومَلّكوه عليهم، واستقام أمرُ فارس على يد يزدجرد في هذه السنة، فجلس على سرير الملك، وقال كلمات حُفظت عنه، منها: إن بالعدل والسياسة يتمُّ الملك، وبالإحسان يستعبد الأحرار. وأقام والياً عشرين سنة، حتى زال مُلك فارس على يده في أيام عثمان.

ولما ولي رتّب الأمور، وأخرج الأموال، وجهّز الجيوش إلى الحيرة والأنبار والأُبُلّة وكَسْكَر وما بين دجلة والفرات.

وانحاز المثنى إلى خَفَّان، وكتب إلى عمر يُخبره بذلك، فلم يَرِد جوابُه، حتى كفر أهلُ السواد ونَقضوا العهد، فجاء كتابُ عمر يَأمر المثنى بأن يَخرجوا من بين ظَهرانَي الفُرس، وأن يتفرّقوا في المياه التي في البرية، حتى يأتيهم المدد، فنزل المثنّى بذي قار، وهو مكان بين الحجاز والعراق، ونزل جرير بن عبد الله في البرّية، وكتب عمر إلى القبائل يَستَنْفرهم ويقول: الوحا الوحا، العَجَل العَجَل، فوافَوْا إليه من كلّ مكان.

وخرج عمر في أول المحرم سنة أربع عشرة، فعسكر بماءٍ يُدعى صِراراً، وفي عَزْمِه أن يَسير بنفسه إلى العراق، ولا يَعلم الناسُ بما في قلبه، وكان مَهيباً، فأقام، ولا يدري الناس أيُقيم أو يَسير، وكان لا يقدم عليه أحدٌ من الناس إلا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وكان الناس إذا أرادوا منه شيئاً رَمَوْه بأحد الرَّجلين، وكان عثمان

(١) في تاريخ الطبري ٣/ ٤٧٧، وتجارب الأمم ١/ ١٩٦، والمنتظم ٤/ ١٥١: بادوريا.

يُدعى في أيام عمر رَديفاً ـ والرَّديف الذي بعد الرَّجُل ـ وكان العباس ممن يقدم عليه أيضاً، فاجتمع الناس إلى عثمان، وسألوه أن يسأله ما الذي يريد أن يفعل، فسأله، فنادى عمر: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فأخبرهم باجتماع الناس على يزدجرد، واتّفاق الفرس عليه الخاصّ والعامّ، فقال عامّة الناس: سِرْ ونحن معك، فدخل من ورائهم[1] وقال: وأنا معكم، اللهمَّ إلا أن يَحضر رأيٌ هو أَمثلُ من هذا، ثم بعث إلى أهل الرأي من الصحابة وأشراف العرب، فاجتمع مَلَؤهم على أن يُقيم، ويَبعث بعض الصحابة، ويُمدّه بالجنود، فإن كان الفتح، وإلا نَدب آخر وآخر.

وكان عمر قد استخلف علياً على المدينة، فأرسل إليه ليَحضر، وكان قد جعل طلحة على أحد المُجَنِّبَتَيْن، والزبير على الأخرى، وعبد الرحمن في المقدّمة، وقيل إن طلحة كان في المقدّمة، فحضر الجميع، فاستشارهم، فأشار طلحة بالمسير، وأشار علي وعبد الرحمن بن عوف بالمقام، قال عبد الرحمن: فما فَديتُ أحداً بعد رسول الله ﷺ بأبي وأمي غيره، وقلت: ليس هَزْم جيوشك كهزيمتِك، فأَقِمْ وابعث الجيوش، وقال له علي: إذا سَلِم الرأس سلم سائر الجسد، وإذا عَطِب عطب الجميع، فقال: إنما أنا كرجلٍ منكم، وحيث صَدَفْتموني عن المسير فأشيروا عليَّ مَن أبعث، فقال عبد الرحمن بن عوف: عليك بالأسد في بَراثنه؛ سعد بن مالك، يعني: ابن أبي وقّاص، فاتّفق الجميع.

ذكر مسير سعد رضي الله عنه إلى العراق

وكان سعد على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر، فقدم عليه، فقال له: يا سعد، [سعد] بني وهيب، قد أمّرتك على العراق، فلا يَغُرنّك من الله قول الناس: خال رسول الله ﷺ وصاحبه، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، وليس بين الله وبين أحد [نسبٌ] إلا طاعته، فشريفُ الناس ووضيعُهم عند الله سواء، الله ربُّهم وهم عباده، فانظر إلى الأمر الذي بُعث فيه رسول الله ﷺ إلى أن فارقنا عليه

(١) كذا، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٤٨٠، وتجارب الأمم ١/ ١٩٧، والكامل ٢/ ٤٥٠: فدخل معهم في رأيهم، وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق.

فالزمْه[١]، وإنك قادمٌ على أمرٍ شديدٍ كريهٍ، لا يخلص منه إلا بالحق، فالصبر الصبر، وذكر وصيَّة عامة، ثم عرض الجُند، فجاءت كندة، فأعرض عنها مراراً، ثم قال: إني منهم لمتردّد، ثم أمضاهم على كُرهٍ منه، وكان منهم سودان بن حُمْران قاتل عثمان رضوان الله عليه، وابن مُلجم قاتل عليّ كرم الله وجهه، فسار سعد في سبعة آلاف، منهم ثلاث مئةٍ وستون من الصحابة، منهم ثمانية وعشرون من أهل بدر، والباقون ممن صحب النبي ﷺ ما بين بيعة الرضوان إلى وفاته، وسبع مئة من أبناء الصحابة، ومن أشراف العرب خلقٌ كثير، وكان عمر قد قال: والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب، فلم يدع رئيساً إلا وبعث به مع سعد وأمدّه به.

وجاء سعد فنزل القادسية، وانضاف إليه جيش المثنّى في ثمانية آلاف، وكان المثنى قد مات من الجراحة التي أصابته يوم الجسر، وكتب عمر إليه وإلى جرير بطاعة سعد، فتكامل عنده بالقادسية تسعة وثلاثون ألفاً، وقيل تسعة وعشرون ألفاً، وهو الأصح، وجاءت القبائل من كلِّ وَجْه.

ولما بلغ يَزْدَجِرد نزولهم القادسية، جهّز إليهم الجيوش، وولّى حربَهم رستم بن الفَرُّخْزاذ، ويُعرف بالأرمنيّ، وقدم الجالينوس في مقدّمته في أربعين ألفاً، وجعل على الميمنة الهُرْمزان في أربعين ألفاً، وعلى الميسرة مِهْران بن مهران في أربعين ألفاً، ورستم في المقدمة في مئة وعشرين ألفاً، ومعهم ثلاثون فيلاً عليهم المقاتلة والسلاح، وانضمَّ إليهم دهاقين السواد، فصاروا في ثلاث مئة ألف.

فكتب سعد إلى عمر يُخبره بجمع القوم، فكتب إليه عمر: لا يَكثُر بك[٢] ما يأتيك عنهم، ولا [ما] يأتونك به، واستعن بالله عليهم، وتَوكَّل عليه، وابعث إليهم رجلاً من أهل الرأي والنَّظر، يدعوهم إلى الله تعالى.

فبينا سعد على هذا العزم إذا برسول رستم قد جاء يقول: ابعثوا إلينا رجلاً عاقلاً يبين إلينا ما الذي جاء بكم إلينا، فقال المغيرة بن شعبة: أنا ذلك الرَّجل، فسار إليه،

(١) في الطبري ٣/ ٤٨٣، وتجارب الأمم ١/ ١٩٨: فانظر الأمر الذي رأيتَ النبي ﷺ عليه، منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه.

(٢) في الطبري ٣/ ٤٩٥: لا يكرُبنّك.

فلما دخل عليه جلس معه على سريره، فنخر أصحابُه وصاحوا، فقال المغيرة: هذا شيءٌ لم يَزِدْني رِفعة، ولم يَنقص صاحبَكم، قال رستم: صدق، فقال له رُستم: ما الذي جاء بكم إلينا؟ فقال: إن الله بعث إلينا رسولاً؛ فهدانا من الضَّلالة، وأنقذنا من الجهَالة، وأمرنا بجهادكم، فإن قَتلتمونا دخلْنا الجنة، وإن قتلْناكم دخلتُم النار، أو تُؤدّون الجزيةَ إلينا، فقال رستم وأصحابُه: لا صُلحَ بيننا وبينكم.

وقال الهيثم: بعث رستم إلى سعد يَطلب جماعةً لهم رأيٌ وعقل، فأرسل إليه بجماعة فيهم المغيرة بن شعبة ومَعبَد بن مُرّة، فقال لهم معبد[1]: دعوني أتقدَّمكم، فإن أتينا جميعاً رأونا قد احتَفَلْنا لهم، فقالوا: تقدَّم، فجاء وقد بسط رستم النَّمارق والوسائد، وأظهر اليواقيت واللآلئ والزينة العظيمة وجلس على سريرٍ من ذهب، ولبس تاجَه، فجاء معبد على فرسٍ له قصير، ورُمحُه مشعوب، وسيفُه خَلَق[2]، فاقتحم البساط بفرسه، ونزل فربطه بين وِسادتين، وعليه عباءة قد خلّها بخلال، فقال رستم: ضع سلاحَك، فقال: لا أَضعُه، أنتم دعوتموني، فإن أكرهتموني على وَضعِه رجعتُ، فقال رستم: دعوه، ثم قال له: ما الذي أَقدَمَكم علينا، فردَّ عليه مثل ما قال المغيرة، فقال رستم: أَخِّرونا حتى نَنظُرَ في هذا الأمر، فقال: لا نُؤخّركم أكثرَ من ثلاث، فإما أن تُسلموا، أو تُؤدّوا الجزية، وإلا قاتلناكم، فمال رُستم إلى الصُّلح، فنهاه أصحابُه وقالوا: أيُّ قَدرٍ لهذا الأعرابي، أما ترى زِيَّه وثيابَه، فقال رستم: لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام، فإن العرب تَستخفُّ الثياب، وتَصونُ الأحساب،

فقال[3]: قد أمرتُ لأميركم بكُسوة وألفِ درهم وبغْلٍ، وتنصرفون، فقال المغيرة: أبعد أن أَوْهَنّا مُلكَكم، وضَعْضَعْنا عِزَّكم، ولنا مدَّة نَمخر بلادَكم، ونأخذ الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون، وستصيرون لنا عبيداً على رَغمكم، فاستشاط رُستُم غضباً وقال: والله لا تَرتفعُ الشمسُ غداً حتى أقتلَكم أجمعين، فقال له المغيرة: ستعلم وتندم، ثم قال

---

(١) في الطبري ٣/ ٥١٨ أن القائل ربعي بن عامر، وهو الذي دخل على رستم.

(٢) في الطبري ٣/ ٥١٩: معه سيف مَشوف، وغمده لفافة ثوب خلق، ورمحه معلوب بقدّ.اهـ. والمعلوب: الذي حُزم مقبضه بعِلْباء البَعير، والعِلْباء: عَصبٌ في عنق البعير يؤخذ ويُلَفُّ على المقبض. والمشوف: المجلوّ.

(٣) رجع الحديث إلى خبر المغيرة، والقائل هو رستم.

رستم: إما أن تَعبروا إلينا أو نَعبر إليكم، فقال المغيرة: بل أنتم فاعبروا، فنصبوا الجسر وعبروا، فصاروا غربيّ الفرات.

وكتب سعد كتاباً إلى عمر يخبره الخبر، فكتب إليه وصيَّةً بالغة، منها: كونوا أشدَّ الناس احتراساً من المعاصي بينكم، من عدوّكم، فإن ذُنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدوِّهم، وإنما يُنصر المسلمون بمَعصية عدوِّهم، ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قُوَّة، لأن عَددنا ليس كعددهم، وقوَّتنا ليست كقُوَّتهم، فإن استَوينا في المعصية كان لهم الفضلُ علينا في القوة.

واعلموا أن عليكم من الله حَفَظَة في مسيركم وإقامتكم، يعلمون ما تفعلون، فاستَحيُوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيله، ولا تقولوا عدوُّنا شرٌّ منا، فلن يُسَلَّط علينا وإن أسأنا، فرُبَّ قومٍ سُلِّط عليهم مَن هو شرٌّ منهم، كما سُلِّط على بني إسرائيل لما عملوا بالمعاصي مَن هو شرٌّ منهم، فجاسوا خلال الديار، وكان عهد الله مفعولاً، وذكر ألفاظاً أُخر، وقال:

وإياكم وقُرى أهلِ الذِّمّة والصلح، ولا يدخلنَّها منكم إلا الموثوق بدينه وأمانته، فإن لهم حُرمة وذِماماً، ولا تُروا أهلها شيئاً، ولتَنْتَقِ للطلائع أهلَ الرأي والنَّجدةِ والصِّدقِ، وتخيَّر لهم سَوابقَ الخيل، ولا تُعاجلوا العدوَّ بالقتال ما لم يَستكرهوكم عليه، وأبصروا عورات عدوِّكم، ومن أين يُؤتى، وأقيموا الحرس، واحذروا من البَيات، ولا تُؤتَوا بأسيرٍ له عهد إلا قتلتموه؛ لتُرهبوا به عدوَّكم، والسّلام[(١)].

ولما رحل رستم عن المدائن نزل بساباط، وقَدَّم الجالينوس، ثم سار حتى نزل بكُوثى، فغصب أصحابُه أموالَ الرعيَّة، وفضحوا نساءهم، وعاثوا، فقال لهم رستم: قد كان الله ينصركم بحُسن السيرة، وكفِّ الظُّلم، والوفاء بالعهود، فأما إذا تَغيَّرتُم عن هذه الأحوال فما أرى الله إلا مُغيِّراً ما أنتم فيه.

ثم رحل فنزل النَّجَف، فخرج إليه رُؤساء الحيرة ـ وفيهم ابن بُقَيلة ـ فلامهم على أداء الجزية، وأراد قتلَهم، فقال له ابن بُقَيلة: لا تَجمع علينا اثنتين: القتل والعَجْز عن

(١) العقد الفريد ١/ ١٣٠ـ١٣٢.

نُصرتنا، والدفع عنا وعن بلادنا، فسكت.

وكان رستم لما نزل الدير رأى في منامه كأن ملكاً نزل من السماء، يختم على جميع سلاحهم، فتطيَّر من ذلك، وسار فنزل النَّجف، فأقام عليه، وسعد بالقادسيّة لا يتقدَّم ولا يتأخّر، فأقام رُستم بالنَّجف أربعةَ أشهر؛ رجاء أن يَضجر سعد فينصرف، مخافةَ أن يَجري على رستم ما جرى [على] مَن تَقدّمه، وأرسل يَزْدَجِرد يحثُّ رُستم على لقائهم.

وكان طُليحة قد أسلم وحَسُن إسلامه، وسار مع سعد في ذلك الجيش، فدخل عسكر رستم ليلاً، فرأى فرساً على باب مِضْرَب، فقطع مِقْوَده، وقرنه بفرسه، وساقه وسط العسكر، ونَذِروا به، فخرجوا في إثره، فقتل كلَّ مَن تبعه ونجا، وتبعه مَرزبان منهم فأسره، وجاء به إلى سعد، فقال: حَدِّثني عن فُرسانكم، فقال: رأيتم فارساً قطع عسكراً فيه ما بين ألوف، ويخرج سالماً غير هذا؟! يعني طُليحة، وأسلم الرجل وقال: أبشر بالنصر، فسمّاه سعد مُسلما.

ثم عاد رستم إلى رؤياه، ورأى ذلك الملك بعينه قد نزل من السماء، وختم على سلاحه ومعه نبينا ﷺ، فدفع الخَتْم إليه، فدفعه إلى عمر، فازداد حُزناً.

وعمر رضي الله عنه يُمدُّ سعداً بالسلاح والقبائل والميرة وغيرها، فلما علم رستم أنهم غيرُ مُنتَهين عنه، وإن أقام نازلوه، قرن عشرين ألفاً في السلاسل، وفَرَّق الفيلة ميمنةً وميسرة، وقدَّم بين يديه فيلاً أبيض كان لسابور يُعَدُّ بألف فيل، وجاء فنزل المكان المعروف بالعتيق، وكان ينظر في النجوم، فرأى تلك الليلة أهوالاً عظيمة، وأن النجوم تتساقط، فلما أصبح ركب وصَعد تلاً دون القَنْطرة ـ وكان سعد قد غلبهم على القنطرة التي على العتيق ـ فنظر إلى عساكر الإسلام فوافاهم قليلاً، فاحتقرهم بالنسبة إلى عسكره، فأرسل إليهم زُهرة بن الحويّة يقول: أنتم جيرانُنا، وما زلنا مُحسنين إليكم، فارجعوا عنا، فقال سعد: إنا لم نَأتكم لطلب الدنيا، وإنما مَقصودُنا الآخرة، وإن الله أرسل إلينا رسولاً، فدعانا إلى دينه، فأرسل رستم يقول: وما الدين؟ فقال سعد: عموده شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإخراج العباد من عبادة النيران والأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال رستم: ما أحسن ما قلتُم، أرأيتُم إن أَجبناكم إلى ما

تَدعون إليه هل تَرجعون عنّا؟ قالوا: نعم، فقال أعيان الفُرس: لا نفعل هذا أبداً، ونفارق ديننا.

وبات الفُرس يسكّرون العَتيق بالقَصب والتُّراب، فأصبحوا وهم على مَواقفهم ـ وهذا اليوم الأول يُسمّى يوم أَرْماث، وهو اسم بُقعة كان القتال عندها ـ فجلس رستم على سرير، وضُربت عليه طيَّارة، ورتَّب الصفوف، وكان يَزدجِرد [وضع] على باب إيوانه رجلاً يُبَلِّغه أخبارَ رستم، وآخر على باب القصر، وآخر على باب المدائن، وكذا إلى رستم.

ورتّب سعدُ المسلمين، ولم يَقدر على الرُّكوب، كان به عِرق النَّسا وحُبون، أي: دَماميل، وكان مُلْقَى على وجهه في صدره وسادة، وهو مُنكَبٌ عليها، ينظر إلى الناس من سطح قصر القادسية، وقَدّم على الناس خالد بن عُرْفُطة، فاختلف على خالد جماعةٌ منهم أبو مِحْجَن الثقفي، فقيَّده سعد وحبسه في قصر القادسيّة، وكان هذا اليوم يوم الإثنين سادس رجب.

وأمر سعد خطباء الناس وشعراءهم، مثل: المغيرة بن شعبة وعمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد وقيس بن هبيرة والشمّاخ والحطيئة وأوس بن مَغْراء أن يقوموا في الناس، فيُذكّرونهم بأيّام الله، ويحرضونهم على القتال، ويُحذّرونهم الفرار، ففعلوا، فكان ما قال قيس بنُ هُبَيرة الأسدي:

أيها الناس، احمدوا الله على ما هداكم، وارغَبوا إليه فيما أبلاكم، فإن الجنة أمامكم، وليس وراء هذا القصر ـ يعني قصر القادسيَّة ـ إلا العَراء، والقفار الموحشة، والمفاوز المعطِشة التي لا يَقطعها إلا كلُّ خِرِّيت ماهر بالدّلالة، فاحذروا أن تكونوا طُعمةً لها، ثم ذكر كلُّ واحد فصلاً في هذا المعنى، وفعلت الفُرس كذلك، وتعاهدوا على الموت، وقدّموا مع كلّ فيل أربعة آلاف مُقاتل.

وكانت صفوف الفُرس مع العتيق على شَفيره، وصفوف المسلمين مع حائط قادس، قرية، وقال سعد: اجعلوا العَتيق أمامنا، والخندق من ورائنا، والمسلمون بين العَتيق والخندق.

وكان رُستم مما يلي العراق، وسعد مما يلي الحجاز، والقَنطرةُ بين الفريقين،

وجعل سعد على الميمنة جرير بنَ عبد الله البَجَلي، وعلى الميسرة قيس بنَ المكشوح، وفي المقدمة القعقاع بن عمرو وعمرو بن معدي كرب والأشعث بن قيس وغيرهم، وقال سعد إذا كَبَّرتُ بعد الظهر فاستَعِدُّوا، وإذا كبَّرتُ الثانية فانشطوا، وإذا كبَّرتُ الثالثة فاحملوا، فإن الله هدى هذه الأمة بالتَّكبير، والنَّصرُ مَقرون به.

وخرج أهل النَّجدات يَطلبون المبارزة، فخرج إليهم أمثالُهم من أهل فارس، فبرز هُرمز وكان من ملوك باب الأبواب، وعليه تاجه ومِنطَقَتُه وزينتُه، فخرج إليه غالب بن عبد الله الأسدي فأسره، وجاء به إلى سعد، وخرج إلى طُليحة عظيمٌ من الفُرس فقتله طُليحة، وصلّى الناس الظُّهرَ، وكبَّر سعد فاستعدُّوا، ثم كبَّر الثانية فنشطوا، ثم كبَّر الثالثة فدارت رحى الحرب، وحملت الفيَلة على الميمنة والميسرة، فانذَعرت الخيول منها وأحجَمتْ، فترجَّلت أَسَد وتميم وبَجيلة، وحملوا على الفِيَلة حملةً عظيمة، فقطعوا أحزمتها، ووقع مَن عليها فقتلوهم، وكان يوماً عظيماً، قُتل فيه من أَسَد خمس مئة رجل؛ لأنهم باشروا الفيلة بنفوسهم، فأنْكَتْ فيهم.

وجال المسلمون جولةً لما شاهدوا من قتال الفُرس، وكان [سعد قد تزوج سلمى بنت خَصَفة امرأة المثنّى قبله، فنزل بها القادسية، فلما رأت ما يصنع أهلُ فارس قالت: وامُثنَّياه ولا مُثنّى للخيل اليوم، فلطم] سعد وَجْهَها، وقال: أين المثنَّى من هذه الكتيبة التي تدور عليها رحى الحرب أو المنون، يعني بني أسد وبَجيلة وبني تميم، فقالت سلمى: أغَيْرةً وجُبناً، فقال سعد: لا يَعذرني اليوم أحدٌ إذا أنت لم تَعذريني وأنت ترين ما بي، وحجز الليل بينهم، وأمر سعد بنقل القتلى إلى وادي العُذَيب وعين الشمس، ففعلوا.

وأصبحوا في اليوم الثاني على تَعبية ـ ويقال له: يوم أغواث، لأن الله أغاث المسلمين بجيش هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص ـ فلما تزاحف الفريقان إذا بطلائع من نحو الشام قد ظهرت، وكان عمر قد جَهَّز هاشم بن عُتبة في ستة آلاف فارس.

قال سيف: وتقدَّم القعقاع بن عمرو فطلب المبارزة، فبرز إليه بَهْمن جاذَويْه، ويقال له: [ذو] الحاجب، فقال له: مَن أنت؟ فقال: بهمن جاذَويْه، فقال القعقاع: يا ثارات أبي عُبيد، وحمل عليه فقتله، وتواترت الجيوشُ من الشام، وفرح المسلمون

وبشروا مما لَقوه بالأمس، ولم يزل القتال يعمل إلى الليل، ولم يقاتل الفُرس في هذا اليوم على فيل؛ لأن توابيتها كانت قد تكسَّرت، وفي هذا اليوم جرت وقائعُ عظيمة، أكثر المسلمون القتلَ في فارس، وألبس المسلمون الخيل جُلودَ الجِمال، على هيئة الفيلة، فلقي الأعاجم يوم أغواث أشدّ مما لقي المسلمون يوم أرماث.

قصة العجوز

ولما اجتمع الناس بالقادسيّة دعت خنساء بنت عمرو النَّخعيّة بنيها الأربعة، فقالت: يا بَنيّ، إنكم أسلمتُم طائعين، وهاجرتُم غير مُكرَهين، لم تَنْبُ بكم الدار، ولم تُقْحِمكم السَّنَة، ولا أرداكم الطَمع، والله إنكم لبنو رَجُلٍ واحد، كما أنكم لبنو أمٍّ واحدة، والله ما فَضَحْتُ خالكم، ولا خُنتُ أباكم، ولا غَبَّرتُ نَسبَكُم، ولا أوطأتُ فِراشَ أبيكم غيرَه، فإذا شاهدتُم الحربَ غداً قد أبدت ساقَها، ومَدَّت رُواقَها، فتيمَّموا وَطيسها، وجالِدوا خَميسها، تَظفروا بالغَنيمة والسلامة، والفَوز والكرامة، في دار الخُلد والمقامة، يا بَنيّ، جئتُم بأُمِّكم العجوز الكبيرة، فألقيتُموها طُعمةً لأهل فارس، فالله الله فيها وفي أحسابكم، فانصرفوا وهم لأمرها طائعون، وبنُصحِها عارفون، فلما كان يوم أَغواث تَقدَّم الأول فقال: [من الرجز]

يا إخوتي إن العجوز النَّاصِحه
قد أيقَظَتْنَا إذ دَعتنا البارِحَه
نصيحة ذات بيانٍ واضحه
فباكروا الحربَ الضَّروس الكالِحَه
فإنما تَأتون عند الصائحه
من آل ساسان كلاباً[1] نابحه
قد أيقنوا منكم بوَقْعِ الجائحه

---

(١) في (أ) و(خ): فباكر، الطروس، عند الصالحة، كلاب، والمثبت من الاستيعاب (٣٢٩٨)، والمنتظم ٤/ ١٧٤، وصفة الصفوة ٤/ ٣٨٦.

وأنـتـم بـيـن حـيـاةٍ صـالـحـه

أو مِـيـتَـةٍ تُـورث غُـنـمـاً رابـحـه

ثم حمل على القوم فأزالهم عن مَواقفهم، ثم حمل الثاني وقال: [من الرجز]

والله لا نَـعـصـي الـعـجـوز حَـرفـا

قـد أمـرتـنـا حَـدَبـاً وعَـطْـفـا

مـنـهـا وبِـرّاً صـادقـاً ولـطـفـا

فـبـاكـروا الـحَـربَ الـضَّـروس زَحْـفـا

حـتـى تَـلـفُّـوا آل كـسـرى لَـفَّـا

وتَـكـشِـفـوهـم عـن حِـمـاكـم كَـشْـفـا

إنَّـا نـرى الـتَّـقـصـيـرَ عـنـهـم ضَـعْـفـا

والـقَـتْـلَ فـيـهـم شِـيـمـةً وعُـرفـا

ثم حمل الثالث وقال: [من الرجز]

لـسـتُ لـخـنـسـاءَ ولا لـلأَدْرَمِ(١)

ولا لـعَـمـرٍو ذي الـسَّـنـاء الأقـدم

إن لـم أَدُرْ فـي آل جَـمـعِ الأعـجـمِ

جَـمْـعِ أنـو شـروان جَـمْـعِ رُسـتُـمِ

بـكـلِّ مَـحـمـود الـلـقـاء ضَـيـغـمِ

مـاضٍ عـلـى الـهـول خِـضَـمٍّ خِـضـرِمِ

إمـا لـقَـتـلٍ عـاجـلٍ أو مـغْـرمِ

أو لـحـيـاةٍ فـي الأَسَـدِّ الأكـرمِ

(١) في الاستيعاب (٣٢٩٨)، والمنتظم ٤/ ١٧٥: للأخرم، وفي صفة الصفوة ٤/ ٣٨٦: للأخزم.

نَـفـوزُ فـيـهـا بـالـنَّـصـيـبِ الأعـظـمِ

ثم شدَّ الرابع فقال: [من الرجز]

إن الـعـجـوز ذاتُ حَـزْمٍ وجَـلَـدْ
والـنَّـظـرِ الأوفـقِ والـرَّأيِ الأسَـدّ
قـد أمـرتـنـا بـالـصَّـواب والـرَّشَـدْ
نَـصـيـحـةً مـنـهـا وبِـرّاً بـالـوَلَـدْ
فباكروا الحرب وشدوا في العَدد[1]
إمـا لـقَـهْـرٍ واحْـتـيـاز[2] لـلـبَـلَـدْ
أو مِـيـتَـةٍ تُـورث خُـلـداً لـلأبَـدْ
فـي جنَّـةِ الـفـردوس فـي عَـيـشٍ رَغَـدْ

فلما غابوا عن عينها رفعت يديها إلى السماء وقالت: اللهمَّ ادفع عن بَنيَّ، فأبلَوا بلاءً حسناً، وعادوا إليها سالمين، لم يُكلَم منهم أحدٌ، فكانوا يَأخذون أعطيتَهم ألفين ألفين، فيَصبُّونها في حِجر العجوز، فتَقسِم بينهم حَفْنَةً حفنة، لا يُغادر واحدٌ من عطائه دِرهماً[3].

اليوم الثالث وهو يوم أغماس[4]، وسُمّي بذلك لأن الفريقين انغمسوا في الحرب، ولم يَجْر في الجاهلية والإسلام مثل هذا اليوم والليلة، وتُسمّى ليلة الهَرير، وهي أعظم من ليلة صِفّين.

قال سيف: وأصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم، فلما ذرَّ قَرن الشمس إذا بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص قد وصل، وكَردس الكراديس، وتزاحف القوم، وقَدَّمت

---

(١) في المنتظم ٤/ ١٧٥، وصفة الصفوة ٤/ ٣٨٧: نماء في العدد، وفي الاستيعاب: حُماةً في العدد.
(٢) في (أ) و(خ): إما بقهر واختيار، والمثبت من صفة الصفوة.
(٣) ذكرها الطبري ٣/ ٥٤٤، وابن أعثم في الفتوح ١/ ٢٠٦ مختصرة.
(٤) في الطبري ٤/ ٥٥٠، ومروج الذهب ٤/ ٢١٩، والمنتظم ٤/ ١٧٥، والاكتفاء ٤/ ٢٢٨، ومعجم البلدان ١/ ٢٢٥ و٤/ ١٤٩، ٢٩٢: عِماس.

الفُرس الفيلَ الأبيض الذي يُعدُّ بألف فيل، فحمل وحملت الفيول، فمَزَّقت الكتائب، فقال سعد: مَن للفيل، فقال عمرو بن معدي كرب والقعقاع: نحن له، وحملا عليه، فوضعا رُمحيهما في عينيه، وضربه المسلمون بالسيوف فقتلوه، وكانت الفِيلة تأنس به، فلما رأته صريعاً نَفرت، فخاضت العَتيق وصفوفَ الفرس، وتعثَّرَت في توابيتها، فوقع مَن كان عليها فهلكوا، ولحقت بالمدائن. وجنّ الليل والقتال يعمل للصباح، فسُمِّيت ليلةَ الهَرير؛ لأن الأصوات انقطعت عن سعد، ولم يَبق إلا هَريرُ الرجال، وشاهدت العجم من العرب ما لم يَروا مثله قَطّ، وفي هذا اليوم الثالث كانت قِصة أبي محجن الثقفي:

لما اشتدَّ القتال ـ وكان سعد قد حبس أبا مِحْجَن في قصر القادسية وقيَّده ـ أتى أبو محجن سلمى بنت حفصة، امرأة سعد، فقال لها: يا بنت حفصة، هل لك في خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تُخلِّين عنّي، وتُعيرينِي البَلْقاء ـ يعني فرس سعد ـ ولله عليَّ إن سلّمني الله أن أَرجعَ حتى أضعَ رِجلَيَّ في قيدي، وإن أُصِبتُ فما أكثر مَن أُصيب، فقالت: وما أنا وذاك؟ فرجع يَرْسُفُ في قيوده ويقول: [من الطويل]

كفى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخيلُ بالقَنا ... وأُتركَ مَشدوداً عليَّ وَثاقِيا
إذا قُمتُ عَنَّاني الحديدُ وغُلِّقَتْ ... مَصاريعُ دوني قد تُصِمُّ المناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... فقد تركوني واحداً لا أخا لِيا
ولله عهدٌ لا أَخيسُ بعهده ... لئن فُرِجَتْ أن لا أزورَ الحوانيا

وسمعتْه سلمى، فقالت: استخرتُ الله، ورضيتُ بعهدك، وأطلقَتْه، فاقتاد الفرس، فأخرجها من باب القصر، وركبها ثم دبَّ عليها، يَلعب برُمحه بين الصَّفَّين، حتى إذا كان بحيال الميمنة، كَبَّر، ثم حمل على الميسرة، ثم رجع إلى القَلْب، فبرز أمام الناس، وحمل على القوم، فتعجَّب الناس منه، وهم لا يعرفونه، ولم يَرَوْه من النهار، وقال بعضهم: هذا من أوائل خيل هاشم أو هاشم نفسه، وقال بعضهم: إن كان الخضر يشهد الحروب فليكن صاحب البلقاء، وقال آخرون: لولا أن الملائكة لا تُباشر الحروب لقلنا إنه ملك، وكان سعد في أعلا القصر، فقال: لولا مَحبَس أبي محجن لقلت: [هذه] شمائلُه، وهذه البلقاء.

فلما انتصف الليل وتحاجز الناس، رجع أبو محجن، فدخل القصر ووضع رجليه في قيده.

قال ابن سيرين: وكان لا يزال يشرب الخمر، فكان يُجلد فيها، فلما أكثر عليهم حبسوه وأوثقوه، فلما كان يوم القادسية فعل ما فعل، وجاء سعد فقالت له سلمى: كيف كان قتالُكم اليوم؟ فجعل يَصف لها حتى قال: فبعث الله رجلاً على فَرسٍ أَبْلَق، لولا أني تركتُ أبا محجن في قيده لقلتُ إنها شمائلُه، فخَرق الصفوف، وفعل وفعل، فقالت: والله إنه لأبو محجن، وقَصَّت عليه القصّة، فدعاه وحلَّ عنه قُيودَه، وقال: والله لا نَجلِدُك في الخمر أبداً، فقال أبو محجن: والله لا أَشربُها أبداً، لأني كنتُ آنف أن أدَعها من أجل جَلْدكم، وكنتُ أشربُها إذ يُقام عليَّ الحدّ فأطهَّرُ منها، أما إذا بَهْرَجْتَني، فوالله لا أشربُها أبداً.

وقال سيف: قالت امرأةُ سعد لأبي محجن: لِمَ حبسك هذا الرجل؟ فقال: والله ما حبسني على حرامٍ أكلتُه، ولكني صاحبُ شَراب، وأنا امرؤٌ شاعر يَدبُّ الشعرُ على لساني، فقلت: [من الطويل]

إذا مـتُّ فـادفِـنّـي إلـى ظـلّ كَـرمـةٍ ... تُـروّي عـظـامي بعـد مَـوتي عُـروقُـهـا
ولا تـدفِـنَـنّـي بـالـفَـلاة فـإنـنـي ... أخـافُ إذا مـا مـتُّ ألا أذوقُـهـا

فحبسني سعد لهذا، فأخبرت سلمى سعداً، فقال له: اذهب، فلستُ أُواخِذُك على شيءٍ تقولُه بعدها حتى تَفعلَه، فقال: لا جَرَم، لا أُجيبُ لساني إلى صفة قبيحة أبداً[1].

دخل ابن أبي محجن على معاوية بن أبي سفيان، فقال له: أبوك القائل: [من الطويل]

إذا مـتُّ فـادفِـنّـي إلـى ظـلّ كَـرمـةٍ

فقال: لو شئتَ لذكرتَ من شعره غير هذا، قال: وما هو؟ قال: قولُه: [من البسيط]

---

(١) أخرج القصة مطولة ومختصرة ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٤٢٣، والطبري في التاريخ ٣/ ٥٤٨، ٥٧٣، وأبو الفرج في الأغاني ١٩/ ٤ـ٨، والمسعودي في مروج الذهب ٤/ ٢١٣ـ٢١٩، وابن أعثم في الفتوح ١/ ٢٠٧ـ٢٠٩، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣١٥٦)، وابن قدامة في التوابين ١٤٨ـ١٥٢.

لا تسألِ الناسَ عن مالي وعن حَسبي ... وسائلِ القومَ عن شَأني وعن خُلُقي
القوم تَعلمُ أني من سَراتِهم ... إذا تَطيشُ يَدُ الرِّعديدةِ الفَرِقِ
قد أركب الهولَ مَسدولاً عَساكِرُه ... وأكتُمُ السِّرَّ فيه ضَربةُ العُنُقِ
أُعطي السِّنانَ غداةَ الرَّوعِ حصَّتَه ... وعاملُ الرُّمحِ أروِيهِ من العَلَقِ

فقال معاوية: رحم الله أبا مِحجن، هو والله كما وَصفَ نفسَه، ثم ذكر فِعلَه يومَ القادسية[١].

وقال رجل يوم القادسية وسعد رضي الله عنه على سطح القصر: [من الطويل]:

نُقاتلُ حتى أنزل الله نصرَه ... وسعدٌ بقصر القادسيَّةِ مُعصِمُ
فأُبنا وقد آمَت نساءٌ كثيرةٌ ... ونِسوةُ سعدٍ ليس فيهن أيِّمُ

وبلغ سعداً، فخرج إلى الناس، فأراهم ما به من الحبون والقروح، وقال: اللهمَّ إن كان قَصد الرِّياء فاقطع لسانَه، فبينا الرجل واقِفٌ في الصفِّ، جاء سهمٌ فشقَّ لسانَه، فوقع ميتاً[٢].

اليوم الرابع، وهو آخر أيام القادسية، قال هشام: اقتتلوا إلى الظهر، فهَبت ريحٌ عاصف، فسَفتِ التُّرابَ على الفُرس، وقطعت طيارة رُسْتم، فألقتها في العَتيق، وقَدمت في تلك الساعة من المدائن بغالٌ عليها مالٌ، وقام رستم عن سريره لما وقعت الطَّيّارة، فاستظلَّ بظل بغل منها، وحمل القعقاع وهلال بن علقمة[٣] والأشعث بن قيس وعمرو بن معدي كرب على الفُرس، وتبعهم الأمراء، وبادر هلال بن علقمة إلى البغال، فضرب الحِمْل الذي تحته رستم فقطعه، ووقع أحد العِدلَين على رستم، فأزال فقاراً من ظهره، فهرب إلى القنطرة، فتبعه هلال فقتله، وجرَّ برجله فألقاه في العتيق، وصعد على سريره وصاح: قتلتُ رُستم وربِّ الكعبة، إليّ إلي، فاجتمع إليه المسلمون، وهربت الفُرس، وتهافتوا في العتيق، فقُتل منهم في ذلك اليوم ثلاثون ألفاً، وفي غيره من الأيام ثمانون ألفاً، وقُتل من المسلمين ستة آلاف، وقيل ثمانية آلاف، وأمر سعد بدفن الشهداء في مواضعهم.

---

(١) الشعر والشعراء ٤٢٤، والأغاني ١٩/ ١٠ـ١١، والاستيعاب (٣١٥٦).
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٧٦و ٥٧٩ـ٥٨٠، والبدء والتاريخ ٥/ ١٧٦.
(٣) في الطبري ٤/ ٥٦٤: هلال بن عُلَّفة.

ذكر الغنائم

جُمع في ذلك اليوم من الأموال والغنائم ما لا يُحصى، وجدوا في خزائن رستم ست مئة ألف ألف دينار، ومن الجواهر واليواقيت مثلها، ومن الخيل والبغال والخيام والثياب والأثاث والأمتعة والأسلحة ما عجزوا عن إحصائه، ووجدوا حِملاً من الكافور، فظنّوه ملحاً، فطُبخ منه في القدور فتمَرمر الطعام، فقالوا: هذا مِلحٌ مُرّ، كذا يكون ملح هذه البلاد؟ فباع واحد جراباً من الكافور بدرهمين، وكان هلال قد أخذ سَلَب رُستم ومِنطَقَته وسلاحَه، وكانت قيمتُه خمس مئة ألف دينار، وقتل زهرة بن الحويّة الجالينوس وأخذ سَلَبه، وكان دون سَلَب رستم، فاستكثر سعد السَّلَبين، فكتب إلى عمر بالفتح، وبعث إليه بالغنائم، وأخبره بالسلبين، فكتب إليه: قال ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سَلَبه»[1]، فادفع إلى القاتلين أسلابَ المقتولين، ففعل سعد.

وكانت هذه الوقعة في هذه السنة، وقيل: سنة خمس عشرة، وقيل: سنة ست عشرة، والأول أظهر.

ولما انهزمت الفرس إلى المدائن بعث سعد إلى يَزدجرد جماعةً يدعونه إلى الإسلام، فيهم النعمان بن مُقَرِّن، والمغيرة بن زرارة الأسدي، وعاصم بن عمرو، فجمع كسرى مرازبته وأهلَ مملكته، وأدخلهم عليه فقال لترجمانه: قل له: ما الذي دعاكم إلى التَّعرُّضِ لبلادنا؟ فقال له النعمان: إن الله أرسل إلينا رسولاً يَدلُّنا على الخير، ويأمرنا أن ندعوَ الناس إلى التوحيد والإنصاف، ونحن ندعوكم إلى ديننا، فإن أبيت وإلا فالمناجزة، فقال يزدجرد: إني لا أعلم في الأرض أُمّةً أشقى منكم، فقال المغيرة بن زرارة: فاختر إن شئتَ الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإن شئت الإسلام، وإلا فالسيف، فقال: أتستَقْبِلُني بمثل هذا؟ فقال: ما استقبلتُ إلا مَن كلّمني، فقال: لولا أن الرُّسل لا تُقتل لقتلتُك، فقال: هو ما سمعت، فقال: ائتوني بوِقْر من تراب، واحملوه على أشرافهم، ثم سوقوه حتى تَخرجوا به من المدائن، فنظروا، فإذا عاصم ابن عمرو، فحَمَّلوه التراب، وقال: لا شيءَ لكم عندي، لأبعثنَّ إليكم مَن يَدفِنُكم في

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٦٠٧)، والبخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١) من حديث أبي قتادة ﷺ.

خنادق القادسية، فلما عادوا إلى سعد قال: أبشروا، قد مَلّككم الله أرضَهم.

ولما أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبر بنزول رستم القادسية؛ كان يخرج صبيحةَ كلِّ يوم [يستخبر الرُّكبان]، ثم يَرجع إلى أهله، فبينا هو ذات يوم إذا براكبٍ، فسأله، فقال: أنا [البشير]، هزم الله العدو، وفعل وفعل، وعمر يمشي إلى جانب ناقة الرجل، ولم يعرفْه حتى دخل المدينة، فلَقيه رجل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال الرَّجل: فهَلّا أخبرتَني رحمك الله أنك أمير المؤمنين، فجعل عمر يقول: لا عليك يا أخي.

ذكر دخول حُرقة بنت النعمان بن المنذر على سعد رضي الله عنه

ودخلت حُرَقَة بنت النعمان عليه في جَوارٍ كلُّهن مثلها، فقال: أيّتكن حُرَقة؟ قالت: أنا، فقال كيف حالكم؟ قالت: إن الدنيا دارُ زوال، لا تدوم على حال، كنا مُلوك هذا المِصر، يجيءُ إلينا خَراجُه، ويُطيعنا أهلُه مدّةً، فلما أدبر الأمر، صاح بنا صائحُ الدهر، وإنا نجد في الكتب أنه ليس من قومٍ كانوا في حَبْرة إلا والدهرُ يُعقبهم بعَبْرة، وإني قد قلتُ في ذلك شعراً، ثم أنشدت: [من الطويل]

فبَيْنا نَسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا ... إذا نحن فيهم سُوقَةٌ نَتنَصَّفُ
فأُفٍّ لدنيا لا يَدوم نعيمُها ... تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصرَّفُ

فقال سعد قاتل الله عديَّ بن زيد، كأنه حاضر حيث يقول: [من الخفيف]

إن للدَّهر صَولةً فاحذَرَنْها ... لا تَبيتَنَّ قد أَمِنتَ الشُّرورا
قد يبيتُ الفتى مُعافىً فيُرزى ... ولقد كان آمناً مَسرورا

ثم أكرمها، ووَصلها، وأحسن جائزتَها، فقالت: ملكتك يدٌ افتقرت بعد غِنى، ولا ملكَتْك يدٌ استغنت بعد فقر، ولا جعل لك الله إلى لئيمٍ حاجةً، ولا أزال عن كريمٍ نعمةً إلا وجعلك السببَ في عودها إليه، وردها عليه، فلما خرجت من عنده قُلنَ لها نساءُ المِصر: ما الذي رأيتِ من الأمير؟ فقالت: [من الخفيف]

حاط لي ذِمَّتي وأكرم وَجهي ... إنما يُكرم الكريمَ الكريمُ

فلما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة خطب حُرقة، فقالت لرسوله: قل له: ما أردْتَ

إلا أن يُقال: تزوَّج المغيرةُ الثقفي ابنةَ النعمان بن المنذر، وإلا فأيُّ حظٍّ لشيخٍ أعور في عجوزٍ عَمياء[١].

وسار سعد من القادسية إلى الحيرة، وبعث الرَّوَّادِين يَرتادون له منزلاً، فخرج إليه ابنُ بقيلة من الحيرة، فقال: هل لك في أرضٍ ارتفعت عن البحر، وانحدرت من الفَلاة؟ قال: نعم فأشار إلى مَوضع الكوفة، فنزلها سعدٌ وخَطَّها، وخَطَّ الناس.

فصل: وقد مدح بعضُ الناسِ الكوفةَ وذمَّها آخرون.

أما المادحون لها فقالوا: قد قال عمر بن الخطاب: بالكوفةِ وُجوه الناسِ. وقال سلمان الفارسي: هي قُبَّةُ الإسلام. وقد نزلها خلقٌ من الصحابة والعلماء، ونزلها ثمانيةٌ من الخُلفاء: عليٌّ والحسن ومعاويةُ وعبد الملك والسفَّاحُ والمنصورُ والمهدي والرشيد. وكان بها أعيانُ العلماء كإبراهيم النَّخَعي والتيمي أبي حنيفة وابن شُبْرمة والشَّعبي وربيعة وسادات الفقهاء.

وأما الذامُّون لها فقالوا: هي منشأُ الفِتَن والغَدْر والفساد، وما زالوا يَحْصِبون الولاة ويشكونهم حتى عزل عمرُ سَعْداً، ودعا سعدٌ عليهم فأعمى اللهُ عينَ مَن دعا عليه، وشكوا عمار بنَ ياسر إلى عمر وكانوا ظالمين له، فعزله عنهم، وتربَّصوا على عليٍّ وقتلوه. وطعنوا الحسنَ في فَخِذِه، وخذلوه، ونزعوا بِساطه من تحته، وأرادوا تسليمَه إلى مُعاوية، وكاتبوا الحسين ثم خذلوه حتى قُتِل، وقَتلوا إخوتَه، وسَبَوْا أهلَه، وسلبوهم ثيابهم، وأخذوا سَراويل الحسين، وخذلوا زيد بن عليّ حتى قُتِلَ أقبحَ قِتْلةٍ، ومثَّلوا به شرَّ مُثْلَةٍ، وكان فيهم المختارُ بن أبي عُبيد الكذابُ الذي ادّعى النبوةَ، ومنهم الخوارج: ابن مُلجَم، وابن السَّوداء، وابن الكَوَّاء وغيرهم[٢].

قالوا: وما رُوي عن عمر وسلمان محمولٌ على زمانهما، لمّا كان بها وجوهُ الصحابةِ الذين فتحوا العراقَ، وجاهدوا الكفارَ، وأما بعد ذلك فقد حدث جميع ما ذكرنا.

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٣٥٢ (مخطوط)، وانظر المجالسة وجواهر العلم (٢٢٢٥) وتخريجها فيه.

(٢) انظر فتوح البلدان ٢٨٧، وآثار البلاد ٢٥٠ـ٢٥٥، والعقد ٦/ ٢٤٩.

فصل في ذكر اختطاط البصرة

قال الجوهري: البصرة حجارةٌ بيضٌ خَشِنَةٌ، وبها سُمّيت البصرة، وهي رِخوةٌ إلى البياض[(١)]

وقال أبو الحسن المدائني: بعث عمر بن الخطاب عُتبةَ بن غَزْوان إلى البصرةِ في سنة أربع عشرة وأمره أن يقطع مادَّةَ أهلِ فارس عن المدائن.

وكان استيطان الكوفةِ والبصرةِ في شهرٍ واحدٍ. والبصرة باب الهند

قال المدائني[(٢)]: ولمّا نزل عتبةُ بن غزوان البصرة، كان بالأُبُلَّة خمسُ مئةٍ من الأساورة يَحمونها، وهي مَرفأُ السُّفُنِ من الهندِ والصين، وهي من أقدمِ بلاد الدنيا، فسار إليها عتبةُ، فناهضَ أهلَها، فركبوا في السفنِ وهربوا، فدخلها فوجد فيها غنائمَ كثيرةً، فكتب إلى عمر بالفتح مع نافع بن الحارث.

قال المدائني: وكان اختطاط البصرةِ في شهر ربيع الآخر، وفتوحُ الأُبُلَّة في شعبان. قال: ولما فتحوا الأُبُلَّة وجدوا جِراراً فيها صَحْناةٌ[(٣)]، فذاقوها فقالوا: قبَّحَ الله الفُرس، أيدَّخرون العَذِرةَ في الجِرار؟ وأصابوا جَرَّةً فيها جوز فلم يدروا ما هو، وأصابَ بعضُهم سراويل، فلم يحسن أن يلبسها فقال: قبَّحك الله من ثوبٍ، فما تركَكَ أهلُك لخيرٍ، ثم رمى بها، وجعلوا يأكلون الخُبز ويبصرون أَذرعتهم: هل سمنوا أم لا؟

وقال سيف: إنما بعث عتبةَ إلى البصرة والأُبُلَّة سعد بنُ أبي وقاص، لما فرغ من المدائن وبَهُرسير وتكريت وجَلولاء في سنة ست عشرة بأمر عمر، والأول أظهر.

وجمع أهل دُسْتِمَيْسان لعُتبة، فسار إليه مَرزبانها[(٤)]، فقاتلوه، فهزمهم عُتبة، وأخذ المرزُبان أسيراً، وبعث سلاحَه ومِنطَقته إلى عمر مع [أنس بن] حجيَّة اليَشكري[(٥)].

---

(١) الصحاح (بصر).

(٢) في (ك): وكان استنباط الكوفة والبصرة في شهر واحد، وقيل هي حجارة بيض تشبه حجارة أهل الهند، وهي باب الهند، قال المدائني.

(٣) إدام يُتَّخذ من السمك الصغار.

(٤) في (أ) و(خ): مرازبتها، والمثبت من الطبري ٣/ ٥٩٥، وما سيرد بين معكوفين منه.

(٥) من قوله: وقال سيف ....إلى هنا ليس في (ك).

ذكر مسير عتبة بن غزوان إلى عمر بن الخطاب(١)

ذكرَ هشام بن الكلبي عن أبيه قال: قال عمر لعتبةَ بن غزوان: إني موجِّهك إلى أرض الهندِ، يعني البصرة، لتمنع أهلها أن يُمِدُّوا أهلَ فارس، فنزلها في ربيع الأوّل سنة أربع عشرة، وبها سبعُ دَساكر. وكتب إلى العلاء بن الحَضْرمي أن يُمِدَّ عتبةَ بعَرْفجة ابن هَرْثمة. قال: واجمعِ الناسَ من الدَّساكر مَوضعاً واحداً، ففعل، وأقام بها شهراً وخرج إلى الأُبُلَّة فانهزموا، وكان الفتحُ(٢) على يد أبي بكرة نُفيعٍ.

وشهد فتح الأُبُلَّةِ مئتان وسبعون من الصحابة، فحكى موسى بن المثنّى بن سلمة بن المحبّق الهُذَلي، عن أبيه، عن جدِّه قال: شهدتُ فتح الأُبُلَّة، وأميرُنا قُطبةُ بن قتادةَ السدوسي، فاقتسمنا الغنائمَ، فدُفعت إليَّ قِدْرٌ من نُحاسٍ، فلما صارت في يدي تبيَّن لي أنَّها ذهبٌ، وعرف ذلك المسلمون فنازعوني فيها إلى أميرنا، فكتب إلى عمر بن الخطاب يُخبرُه بذلك، فكتب إليه: اطلُبْ يمينَه أنَّه لم يعلم أنَّها ذهبٌ إلا بعدما(٣) صارت إليه، فإن حلف فادفعها إليه، وإن أبى فاقسمها بين المسلمين، فحلفَ فدفعها إليه وكان فيها أربعون ألفَ مِثقالٍ، قال ابن المحبِّق: وقال جدّي: فمنها أموالُنا التي نَتوارثُها إلى اليوم.

قلتُ: وهذا مَذهبُ عمر رضي الله عنه، ولعله أراد استمالةَ قلوب المؤمنين بهذا في أوّل الأمرِ. أما مذهبُ عامةِ الصحابةِ والفقهاء أنه أُسوةٌ للغانمين، وأنَّها تُقْسَمُ بينهم، إلا ما نفَّله الإمامُ قبل القِسمة، أو من الخُمْسِ.

وقال المدائني: وكان قُطبةُ بنُ قتادةَ السدوسيُّ هو السببَ في إيْفاد عمرَ عُتبةَ بن غزوان المازني إلى البصرة. وقُطبةُ أوّلُ مَن أغار على السَّواد من ناحية البصرة، كتب إلى عمرَ يستمدُّه، فبعث به إليه، وذكر بمعنى ما ذكرنا(٤).

وكتب عتبةُ بن غزوان إلى عمر يستأذنُه في الحجِّ، فأذن له، فولّى الحربَ مُجاشِع

---

(١) كذا، ولعل صواب العنوان: ذكر مسير عتبة بن غزوان إلى البصرة بأمر عمر بن الخطاب.

(٢) من قوله: وذكر هشام بن الكلبي ... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) في (أ) و(خ): لم يعلم أنها ما صارت ذهباً إلا بعدما.

(٤) من قوله: قلت وهذا مذهب عمر ... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

ابنَ مسعود، والصلاةَ المغيرة بنَ شُعبة، وكان مجاشعٌ بناحية الفُراتِ، والمغيرةُ بالبصرةِ، وقال له عتبةُ: إذا قَدِم مجاشع فهو الأمير.

وكان بنواحي العراق مَرزبان عظيم يقال له: الفلتان[1]. فلما قَفل عُتبةُ عن البصرةِ سار الفلتان إليها في جمعٍ عظيمٍ من الفُرسِ، قبل وصول مجاشعٍ، فخرج إليه المغيرةُ، فهزمه وغَنِم عسكرَه، وكتب إلى عمر بالفتح، فقال عمر لعُتبة وقد اجتمعا بمكَّة: مَن استعملتَ على البصرة؟ فقال: مجاشعاً، فقال له عمر: أتستعملُ رجلاً من أهل الوَبر على أهلِ المدَر؟ أهل علمتَ ما جرى؟ وأخبره الخبر، فلما قضى مناسِكَه قال له عمر: ارجع إلى عملِكَ، فسار من مكة يُريدُ البصرة، حتى إذا كان بالفَرَعِ ـ وقيل بالمعدِن ـ وَقَصَتْ به ناقتُه فمات، وسنذكره في آخر السنة.

فصل: وفي هذه السنة أقام عمر التّراويحَ للناس، وأمرهم بها في المساجد في شهر رمضان بمجمعٍ من الصحابة.

وقد ذكرنا أن رسول الله ﷺ صلّى في رمضان ثلاث ليالٍ أو أربعَ ليالٍ ركعتين بعد العشاء، ثم امتنع وقال: «خشيتُ أن تُكتَب عليكم»[2].

وتُوفي رسولُ الله ﷺ والأمرُ على ذلك، وكذا خلافةُ أبي بكرٍ، وصدر من خلافة عمر، فحكى البخاري[3]، عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب ليلةً إلى المسجدِ، فإذا الناسُ أَوزاعٌ متفرِّقون، يُصلّي الرجلُ لنفسه، ويصلّي الرجل فيصلي بصلاتهِ الرَّهطُ، فقال عمر: لو جَمعتُ هؤلاء على قارئٍ واحد لكان أمثل، فجمعهم على أُبيٍّ بن كعب.

قال: ثم خَرجتُ معه ليلةً أُخرى والناس يُصلّون بصلاةِ قارئهم، فقال عمر: نِعم البدعةُ هذه، والتي ينامون عنها أفضلُ من التي يقومون، يُريدُ آخِرَ الليل، وكان الناس يقومون أوَّله.

وكتب عمر إلى الأمصار بإقامةِ التَّراويح.

---

(١) في الطبري ٣/ ٥٩٥: الفيلكان.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٣٦٢)، والبخاري (٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) في صحيحه (٢٠١٠).

قلت[١]: وقد ادّعى قومٌ أن عمر رضي الله عنه فعل شيئاً لم يَفعلْه رسولُ الله ﷺ، ولا أبو بكر، وقد سمَّاها بِدعةً، والصحابةُ لم يُنكروا عليه خوفاً منه.

والجواب أنَّ النبي ﷺ قد بيَّن السببَ الذي امتنع من صَلاةِ التراويحِ لأجله؛ وهو مخافة أن تكتبَ علينا، وبعد انسداد باب الوحي زال هذا المعنى، وقد كانوا يُصلُّون مُتفرِّقين، فجمعهم على إمامٍ واحدٍ.

وأما البدعةُ فبدعتان: مكروهةٌ ومستحبَّة، فالمكروهةُ ما ليس لها أصل في الشرع وتلك هي الضلالة، والمستحبَّةُ ما لها أصل في الشرع، وقال ﷺ: «الصلاة خيرٌ موضوع»[٢].

وأما الصحابة فقد استمروا بعد موته عليها، وكان عليٌّ إذا مرّ ليالي رمضان فرأى القناديل تزهرُ، وسمع القُرَّاء يقرؤون قال: نوَّرَ الله قبر مَن نوَّر علينا مساجدَنا[٣].

فإن قيل: فلم كانت التراويحُ عشرين ركعةً؟ قلنا: لأنهم وزَّعوا القرآن عليها في ذلك الوقت؛ ليكون الختمُ في آخر الشهر.

فصل: وفيها جلد عمر بنُ الخطاب ولده عبد الرحمن في شرابٍ شربه، وكان عمرو بنُ العاص قد جلده قبل ذلك بمصر، وبلغ عمر، فكتب إلى عمرو بن العاص أن يَبعث به إليه، فبعث به إليه، فحدَّه عمر ثانياً لأجل مكانه منه، فأقام شهراً ومات، فكانوا يَرون أنَّه مات من جَلْد عمر إيّاه.

وقد اختلفوا في اسم المضروب، فقال الطبري[٤]: هو عبيد الله بن عمر، وقال غيره: هو أبو شَحْمة.

وقد أخرج جدّي رحمه الله في آخر كتاب «الموضوعات» حديثاً طويلاً في جلد عمر ولده، فقال بإسناده عن سعيد بن مسروق قال: كانت امرأةٌ تدخلُ منزل عمر، ومعها صبيٌّ، فقال لها عمر: مَن هذا الصبيُّ معك؟ فقالت: هو ابنُك، وقع عليَّ أبو

---

(١) في (أ) و(خ): قال المصنف.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥٤٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) المنتظم ٤/ ١٨٠.

(٤) في تاريخه ٣/ ٥٩٧.

شَحمة فهو ابنُه، قال: فأرسل إليه عمر فأقرَّ، فقال لعلي: اجلِده، فضربه عليٌّ خمسين، وضربه عمر خمسين، فقال لعمر: يا أبة قتلتَني، فقال: إذا لقيت ربَّك فأخبره أن أباك يُقيمُ الحدود. ثم قال جدي: هذا حديثٌ موضوع، وضعه القُصّاص فأبدؤوا فيه وأعادوا، وشرحوا فأطالوا[1].

ثم أخرجه جدي من طرقٍ: أحدها عن سعيد بن مسروق، ومجاهد عن ابن عباس، وعبد القدوس بن الحجاج. فأما طريقُ سعيد بن مسروقٍ فقد ذكرناه.

وأما طريقُ مجاهد عن ابن عباس، فقال مجاهد: تذاكر الناسُ فضلَ أبي بكرٍ وعمر في مجلس ابن عباس، فبكى ابنُ عباسٍ وقال: رحم اللهُ رجلاً لم تأخذْه في الله لومةُ لائم، أقام الحدود كما أُمر، لم يَزدجر عن قريبٍ لقرابتهِ، ولم يَحِف على البعيد لبُعدِه، ولقد أقام الحدَّ على ولدِهِ حتى قتله.

بينما أنا عنده ذات يوم ونحن بالمسجد، إذا بجاريةٍ قد أقبلت تتخطّى رقاب المهاجرين والأنصار، ومعها ولدٌ تحملُه، فقالت: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين، خذ هذا الولدَ فأنت أحقُّ به مني. قال: ومن أين؟ قالت: هو ولدُ ولدِك أبي شَحْمة؛ مررتُ في بعضِ الأيّام لحاجتي عند حائط لبني النّجار، فإذا بصائحٍ يَصيح من ورائي، فالتفتُّ فإذا بابنك أبي شحمة يتمايل سُكْراً، وكان قد شرب عند نُسَيكَةَ اليهوديِّ، فجرَّني إلى الحائط، وتوعَّدني فأُغمي عليَّ، فما أفقتُ إلا وقد نال مني ما ينالُ الرجلُ من امرأته، ثمَّ كتمتُ أمري عن أهلي، وإذا بي حاملٌ، فوضعتُ هذا الغُلام، فأردتُ قتلَه ثم نَدمتُ، وقد أتيتُك به، فاحكُم بيني وبين ولدِك بحكم الله.

فأمر عمرُ مُناديه فنادى: يا معاشر المهاجرين والأنصار، فأقبلوا مُسْرِعين، فقام وأتى بيتَ أبي شَحمة وأنا معه، فدخل عليه فقال: يا بُنيّ، أمالي طاعةٌ؟ قال: بلى، طاعتان: طاعةُ الوالد، وطاعةُ الخلافة، فقال: بالله وبحقّي عليك، هل كنتَ ضيفاً لنُسَيْكَةَ اليهودي، فشربتَ عنده الخمرَ، وواقعتَ امرأةً في وقت كذا؟ فقال: يا أبة، قد كان ذلك وأنا تائبٌ، فقال عمر: التوبةُ رأسُ مال المذنبين، وقبض عمرُ على يده،

(١) الموضوعات (١٨٣٦).

ولبَّبه، وجرَّه إلى المسجدِ، فقال: يا أبة، لا تفضَحْني على رؤوسِ الناس، اقتُلني ها هُنا، فقال: أما سمعتَ قول الله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

ثمَّ جاء به إلى المسجد، وأمر غُلاماً له يُقال له: أَفْلَح فقال: انزع ثيابَه، وافعل ما آمرُك به، اضربه مئةَ سوطٍ، ولا تُقَصِّر في ضَرْبِهِ، فبكى أفلحُ، وقال: ليتني لم تَلدْني أمي؛ حيثُ أُكلَّف ضَرْبَ ولدِ سيدي، فقال: اضربْه، وضجَّ الناسُ بالبكاء والنَّحيب، وجعل الغُلامُ يقول: يا أبة، ارحمني، وعمرُ يبكي ويقول: يرحمُك ربُّك، فلما ضربه السَّوط الأوَّل قال الغلامُ: بسمِ الله، فقال عمرُ: نِعمَ الاسمُ سَمَّيتَ، فلما ضربه ثانياً قال الغُلام: ما أمرَّه، فقال عمر: اصبر كما عصيتَ، فلما ضربه ثالثاً قال: الأمان الأمان، فقال عمر: ربُّكَ يُعطيك الأمان، فلما ضربه رابعاً قال: واغَوْثاه، فقال عمر: الغَوْثُ عند الشِّدَّة، فلما ضربه خمساً قال: الحمدُ لله، فقال عمر: حمدُ اللهِ واجبٌ، فلما ضربه عشراً قال: يا أبة، قتلتَني، قال: ذنبُك قتلك، فلما ضربه ثلاثين قال: أحرقتَ قلبي، فقال عمر: النارُ أشدُّ حرّاً، فلما ضربه أربعين قال: يا أبة، دَعْني أذهب على وجهي، فقال عمرُ: يا بنيّ، إذا أخذتُ حدَّ اللهِ منك فاذهبْ حيثُ شئتَ، فلما ضربه خمسين قال: أنشدكَ بالقُرآن لمَا خلَّيتني، فقال: يا بُنيّ، هلّا وعظكَ القُرآنُ [وزَجَرك] عن المعاصي؟ فلما ضربه ستين قال: يا أبة، أغِثني، قال: إنَّ أهل النار إذا استغاثوا لم يُغاثوا، فلما ضربه سبعين قال: يا أبة، اسقِني شربةً من ماءٍ، قال: [يا] بُنيّ، إن كان ربُّك يطهِّرك فيسقيك محمد ﷺ شربةً لا تظمأُ بعدها أبداً، فلما ضربه ثمانين قال: يا أبة، السلام عليك، فقال: يا بُنيَّ، إذا لقيتَ محمَّداً ﷺ فأقرئه عني السلام، وقُل له: خَلَّفتُ عمر يقرأُ القُرآنَ ويُقيمُ الحدود، فلما ضربه تسعين ضَعُفَ وانقطع كلامُه، فوثب أصحابُ رسول الله من كلِّ جانبٍ وقالوا: يا أميرَ المؤمنين، أخِّر ما بقي إلى وَقْتٍ آخر، فقال عمر: كما لم تُؤخَّر المعصيةُ لا تُؤخَّر العقوبةُ، وبلغ أمّ الغُلام فجاءت صارخة تقول: يا عمرُ، أحجُّ بكلِّ سوطٍ حجَّةً ماشيةً، وأتصدَّقُ بكذا وكذا درهماً، فقال عمر: إن الحجَّ والصدقة لا تَنوبان عن الحدِّ، فضربه مئةً فمات الغُلامُ، فجعل عمرُ رأسَه في حِجره، وجعل يبكي ويقول: بأبي مَن قتله الحقُّ، بأبي مَن لم يَرحمه أبوه ولا أقاربُه، وضجَّ الناسُ بالبكاء والنحيبِ، وجاء حُذيفةُ بن اليمان

بعد ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتُ الغلام في المنام وعليه حُلَّتان خضراوان، وهو مع رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: يا حُذيفة، اقرأ على عمر مني السلام، وقل: هكذا أمرك ربُّكَ أن تقرأ القُرآن وتُقيمَ الحدود. وقال الغُلامُ: قل لأبي: طهَّرَكَ اللهُ كما طهَّرتني[١]. وهذه روايةُ مجاهدٍ عن ابن عباسٍ اختصرتُها.

وذكر الزبيرُ بن بكارٍ أن عبد الرحمن الأوسط من أولاد عمر كان يُكنى أَبا شَحمة، وعبدُ الرحمن هذا كان بمصر، خرج غازياً، فاتَّفق أنه شرب نبيذاً، فسَكِرَ، فجاء إلى عمرو بن العاص فقال له: أقم عليَّ الحدَّ، فامتنع، فقال له: إني أُخبرُ أبي إذا قدمتُ عليه، فضربه عمرو الحدَّ في داره، ولم يُخْرِجْه، وبلغ عمر، فكتبَ إلى عمرو يلومُه في مراقبته لعبد الرحمن ويقول له: ألا فعلتَ به ما تفعلُ بجميع المسلمين؟ فلما قدِم على عمر ضربه، واتفق أنه مرض فمات.

قال جدي: هذا الذي ذكره ابن سعدٍ في الطبقات وغيرُهُ. ويحتمل أنه شرب النَّبيذ متأوِّلاً، فسكر من غير اختيار، وأنَّ عمر ضربه ضَرْبَ تأديبٍ، لا ضربَ حدٍ، ومرض لسببٍ آخر، ومات لا من الضَّرْبِ. ثمَّ قال: [وفي] الإسناد الأوَّلِ مجهولٌ[٢].

وفيها ولّى عمر النعمان بن عَديّ بن نَضْلة العدويّ دُسْتَ مِيسان، وعديّ أبو النعمان أوَّلُ مَن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، ومات بها، وورثه النعمان، وهو أول ميراثٍ في الإسلام.

وكان النعمان شاعراً، ولما ولي دُسْت مِيسان قال: [من الطويل]

ألا هل أتى الحسناءَ أن خَليلَها ... بميسان يُسقى في زجاجٍ مُخَتَّمِ
إذا شئتُ غَنَّتْني دَهاقينُ قريةٍ ... وصنَّاجةٍ تَجثو على كلِّ مَبْسِمِ
فإن كنتَ نَدماني فبالأكبر اسقني ... ولا تَسقني بالأصغرِ المتثَلِّمِ
لعل أمير المؤمنين يَسُوءُه ... تنادُمُنا في الجَوْسَقِ المتهدِّمِ

فبلغ عمر ذلك، فقال: إي والله إنني ليَسُوءني ذلك، ثم عزله، فقدم عليه فقال: يا

(١) الموضوعات (١٨٣٧).
(٢) الموضوعات ٣/ ٦١٣-٦١٥ وانظر تتمة كلامه على الحديث، ومن قوله: وقد اختلفوا في اسم المضروب .. إلى هنا، ليس في (أ) و(خ).

أمير المؤمنين، والله ما شربتُها قطّ، وإنما أنا شاعر فقلتُ، فقال: على ذلك، والله لا تلي لي ولايةً أبداً[(١)].

فصل وفيها توفي

الحارث بن قيس

ابن خالد بن مخلد الأنصاري، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد، فجُرح، وبرئ، ثم انتَقض جُرحُه في هذه السنة فمات، يُعدُّ من شهداء اليمامة، وكنيتُه أبو خالد[(٢)].

زياد بن لبيد

ابن ثعلبة بن [سنان] عامر بن عَديّ، أبو عبد الله، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة مع السبعين، وخرج من المدينة، فقدم على رسول الله ﷺمكة، ثم هاجر معه إلى المدينة، ولما أسلم كان يكسر أصنامَ بني بَيَاضة، شهد بدراً وأُحداً والخندقَ والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، واستعمله على حَضْرَموت، فلما تُوفي رسول الله ﷺ، وارتدت العرب، قاتلَ كِندة وحِصنَ النُّجير وفيه الأشعث بن قيس. وقد ذكرناه في قتال أهل الردة[(٣)]، وزياد[(٤)] له صُحبة ورواية[(٥)].

فصل وفيها توفي

عُتبة بن غَزوان

ابن جابر بن وَهب المازني، أبو عبد الله، وقيل أبو غزوان، وهو من الطبقة الأولى

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٠-١٣١، والاستيعاب (٢٥٨٧)، والمنتظم ٤/ ١٣٨، والتبيين ٤٣٤، والإصابة ٣/ ٥٦٢، وانظر المعرب ١٤٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٧، الاستيعاب (٢٩٠٢)، والمنتظم ٤/ ١٨٥، والاستبصار ١٧٠، والإصابة ٤/ ٥٠.

(٣) سلف في سنة ١١، أول الجزء.

(٤) في (أ) و(خ): وابن زياد؟! وانظر ترجمة زياد في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٥٣، والاستيعاب (٨٢٥)، والمنتظم ٤/ ١٨٥، والاستبصار ١٧٦، والإصابة ١/ ٥٥٨.

(٥) من قوله: وفيها ولى عمر النعمان بن عدي ... إلى هنا، ليس في (ك).

من المهاجرين، من حُلفاءِ نوفل بن عبد مناف بن قُصيّ، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشةِ المرة الثانية، وكان من الرُّماة المذكورين، وهاجر إلى المدينةِ وهو ابن أربعين سنة فنزل على عبد الله بن سَلمةَ[1] العَجْلاني، وآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين أبي دُجانة، وكان خَطيباً فصيحاً.

وقال ابن سعد عن الواقدي: هو الذي اختطَّ البصرة ـ وكانت قبل ذلك الأُبُلّة ـ وبنى المسجد بقَصَب، وولّاه عمرُ البَصرة، فأقام عليها ستَّة أشهر، ثم حجَّ واعتمر، واجتمع بعمرَ فردَّه والياً على حاله، مات بطريق البصرة بمرضِ البطن، وهو ابن سبع أو خمس وخمسينَ سنة[2].

واختلفوا في أيِّ سنةٍ مات على أقوالٍ: أحدُها في هذه السنة، ذكره المدائني. والثاني في سنة سبع عشرة، حكاه ابنُ سعدٍ عن الواقدي. قال: أصابه بطنٌ فمات بمعدِنِ بني سُلَيم[3]. وقول المدائني أظهر.

وليس في الصحابة من اسمُه عتبةُ بن غزوان غيره[4].

وقد روى عن رسول الله ﷺ الحديث، فقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا ابن أَسَد، حدثنا سُليمان بنُ المغيرة، حدثنا حُميد بنُ هلال، عن خالد بن عُمير قال: خطب عُتْبةُ بن غزوان ـ أو خطبنا ـ فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمَّا بعد، فإنَّ الدُّنيا قد آذنتْ بصُرْم، وولَّت حذَّاءَ، لم يَبقَ منها إلا صُبابةٌ كصُبابةِ الإناء، يَتصابُّها صاحبُها، وأنتُم مُنتقلون منها إلى دارٍ لا زوال لها، فانتقلوا بخيرٍ؛ فإنَّه قد ذُكِرَ لنا أنَّ الحَجر يُلقى من شفيرِ جهنَّم، فيَهوي فيها سَبعين خريفاً ما يُدْرِكُ قَعْرَها، ولقد ذُكر لنا أنّ ما بين مِصْراعَي الجنَّةِ مسيرةُ أربعينَ عاماً، وليأتينَّ عليه يومٌ كَظِيظُ الزِّحام.

ولقد رأيتُني وأنا سابعُ سبعةٍ مع رسولِ الله ﷺ، ما لنا طعامٌ إلّا ورقُ الشجرِ، حتى قَرِحتْ أشداقُنا، ولقد التقطتُ بُرْدَةً فشقَقْتُها بيني وبين سعدٍ نِصفين، فاتَّزرَ بنِصفها، واتَّزرتُ بالنصفِ الآخر، وما أصبح مِنّا أحدٌ إلّا وهو أميرٌ على مِصرٍ من الأمصارِ،

---

(١) في (أ) و(خ): سهل، وهو خطأ.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٢ دون شك في سنّه عندما توفي، وانظر تلقيح فهوم أهل الأثر ١٢٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٣ و٩/ ٨.

(٤) من قوله: واختلفوا في أي سنة مات ... إلى هنا، ليس في (أ) و(خ).

وإني أعوذُ بالله أن أكونَ في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً.

وإنَّها لم تكن نُبوَّةٌ قطّ إلا تناسَخَت، حتى تكونَ مُلْكاً، وستُجَرِّبون الأُمراءَ بعدنا. انفرد بإخراجه مسلم[١]. وليس لعتبةَ في الصحيح غيرُه.

ولما مات عتبةُ قَدِمَ غلامُه سُويد على عمر بتَرِكَته[٢].

وقال ابن سعد: كان لعُتبةَ مولى يقال له: خَبّاب، وكُنيتُه أبو يحيى، آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين تميم مولى خِراش بن الصِّمَّةِ، وخَبَّاب من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وتُوفي سنة تسع عشرة بالمدينة، وصلّى عليه عمرُ، وهو ابن خمسين سنةً[٣].

وليس في الموالي مَن اسمُه خبَّابٌ غيرُه، وله صحبةٌ، وليس له روايةٌ.

فصل وفيها توفي

عثمان بن عامر

ابن عمرو بن كعب، أبو قُحافة، والد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وأمه قَيْلة بنت أَذَاة، من بني كعب بن لؤي.

وقد ذكرنا إسلامَه يومَ الفتح[٤]، وأن النبي ﷺ قال: «يا أبا بكر، هلّا تركتَ الشيخَ حتى أكون أنا الذي أمشي إليه».

وكان أبو قُحافة من عقلاء الناس، واستدلُّوا على عقله أن ابنَه لما وَلي الخلافة لم يكترث بذلك، ولا وَفَد عليه، ولا مَنَّ على الناس به، ولم يزل يُسمِّيه عتيقاً، ويخاطب به ما ولي الخلافة إلى أن مات.

قال ابن قتيبة: وقدم أبو قحافة المدينة[٥]. وهو وهم منه، لاتفاق العلماء على أنه

---

(١) مسند أحمد (١٧٥٧٥)، وصحيح مسلم (٢٩٦٧).

(٢) انظر ترجمة عتبة في طبقات ابن سعد ٣/ ٩٢-٩٣ و٩/ ٥-٨، والاستيعاب (١٩١٤)، والإصابة ٢/ ٤٥٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٣.

(٤) سلف في السيرة.

(٥) المعارف ١٦٨.

لم يزل مُقيماً بمكة.

وكان أبو قُحافة قد أضرَّ، وكانت وفاتُه في المحرم في هذه السنة، وكان بينه وبين وفاة ابنه سبعةُ أشهر وستةُ أيام، وعاش سبعةً وتسعين سنة، وورث من ابنه أبي بكر السُّدس، فردّه في أولاد أبي بكر.

ذكْرُ أولاده: كان له أبو بكرٍ وعبد الله وأمُّهما أمّ الخير سلمى. وأُمُّ فَرْوَة تزوَّجها الأشعثُ بن قيس.

وقال ابن قُتيبة: تزوَّج أمَّ فَرْوَة رجلٌ من الأزْدِ فولدت له جاريةً، ثم تزوَّجها تميم الداريّ، ثم الأشعثُ بنُ قيسٍ[١].

فولدت له محمَّداً وإسحاقَ وجُمانةَ[٢] وقريبة.

وذكرها الشيخ الموفَّق في الأنساب، وقال: أسلمت وبايعت، وروتِ الحديثَ عن رسول الله ﷺ، قال: وفي بعض المغازي أن أبا قُحافةَ قال لابنته يوم الفتح: خُذي بيدي، واصعدي بي إلى أبي قُبيس، ففعلت فقال لها: ما تَرَيْنَ؟ قالت: أرى سواداً مُجتمعاً قال: تلك الخيلُ. [قالت]: وبين أيديها فارسٌ يُقبلُ ويُدبِرُ، فقال: ذاك الوازعُ ـ قال الجوهري: الوازعُ: الذي يتقدَّم الصفَّ فيُصلحُه، ويُقَدِّمُ ويُؤخِّرُ. قال: ويُسمَّى الكلبُ وازعاً؛ لأنَّه يكفُّ الذئبَ عن الغنم[٣] ـ فقال: ما تَرين؟ قالت: قد انتشر السوادُ، فقال: أغارت الخيلُ، فالحقي بي المنزلَ، فنزلتْ فأدركتها الخيلُ قبل بلوغ المنزلِ، فأخذ بعضُهم طَوْقاً كان في عُنُقِها، فلما فتح النبيّ ﷺ مكّة قال أبو بكرٍ: أَنشُدُ اللهَ رجلاً أخذ طَوْقَ أختي إلّا رَدَّه، فلم يُرَدَّ. فقال أبو بكر لأخته: احتسبي طَوْقَك، فإن الأمانةَ في الناسِ اليوم قليل[٤].

وليس في الصحابيات من يُكنى أمّ فَرْوة إلا هذه، وأمّ فروة أنصارية[٥].

(١) المعارف ١٦٨.
(٢) في طبقات ابن سعد ٦/ ٧٨: حِبَّانة.
(٣) الصحاح (وزع).
(٤) التبيين ٣١٩، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٥ـ٤٠٦.
(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٥٢.

وذكرها ابن سعدٍ في طبقات النساء فقال: وأمُّها هند بنت نُفيل[١] بن بُجَيْر بن عبد ابن قُصيّ، زوَّجها أبو بكرٍ من الأشعثِ بن قيسٍ، فولدت له محمّداً وإسحاق وإسماعيل وحبابة وقريبة. وقال: وكان لأبي قُحافةَ ابنةٌ تُسمّى قريبة، تزوّجها قيس بن سعد بن عُبادة بن دُليم، فلم تَلِدْ له شيئاً. قال: وأُمُّها هندُ بنتُ نُفيلٍ أيضاً. وكان لأبي قُحافة ابنةٌ يُقال لها: أم عامر، وأمُّها هند بنت نُفَيل أيضاً، تزوجها سعد بن أبي وقاص[٢]، فولدت له ضعيفة، وقيل: اسمها أم عاصم، وتُسمّى ضعيفة.

وليس في الصحابة مَن اسمُه عثمان بن عامر، ويُكنى أبا قُحافة غيره. وليس له رواية، وإنما أسلم على يد رسول الله ﷺ يوم الفتح.

وقال موسى بن عقبة[٣]: ما نعلم أن أربعةً تناسلوا، ورأوا رسول الله ﷺ في نسق واحد، إلا عثمان بن عامر، وابنه أبو بكر، وابنه عبد الرحمن، وابنه محمد ويُكنى أبا عتيق[٤].

عفراء بنت عُبيد

ابن ثعلبة الأنصاريّة، من بني النجار، وأمُّها الرعاة بنت عديّ بن سواد، نجارية أيضاً، أسلمت وبايعت، وولدت سبع بنين مُسلمين، شهدوا بدراً، تزوّجها الحارث بن رفاعة من بني النجار، فولدت له مُعاذاً ومُعوِّذاً، ثم طلَّقها، فقدمت مكة، فتزوجها كثير[٥] ابن عبد ياليل، فولدت له خالداً وإياساً وعاقلاً وعامراً، ثم طلَّقها، فرجعت إلى المدينة، فراجعها الحارث بن رفاعة، فولدت له عوفاً، فأسلموا، وحضروا مع رسول الله ﷺ بدراً، فاستشهد معاذ ومعوذ وعاقل قبل يوم بدر، واستشهد خالد يوم الرَّجيع، وعامر يوم بئر معونة، وإياس يوم اليمامة، وانقرض نسلهم إلا عوف فإنه أعقب[٦].

---

(١) في طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٣٦_٢٣٧: نُقَيد، هنا وفي المواضع الآتية.

(٢) في طبقات ابن سعد ٦/ ٧٨ و ١٠/ ٢٣٧: عامر بن أبي وقاص.

(٣) من هنا إلى بداية ترجمة أم عمارة نسيبة، ليس في (ك).

(٤) انظر ترجمة أبي قحافة في طبقات ابن سعد ٦/ ٧٨ و ٨/ ١٢_١٣، والاستيعاب (١٨٨٩) و(٣١٠٩)، والتبيين ٣١٧، والمنتظم ٤/ ١٨٦، والإصابة ٢/ ٤٦٠.

(٥) في المنتظم ٤/ ١٨٧: بكر، وفي الإصابة ٤/ ٣٦٤: بُكير.

(٦) انظر طبقات ابن سعد ١٠/ ٤١٢، والاستبصار ٦١، والمنتظم والإصابة.

أبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب بن هاشم، ابنُ عم رسول الله ﷺ.

واسمه المغيرة، وأمُّه غزيّة بنت قيس، وهي أمُّ نوفل بنت الحارث، وكان أبو سفيان ونوفل أخوان لأم وأب، وربيعة وعبد الله ابنا الحارث أخوان لأب وأم، وقيل: بل غزيّة أمُّ الكلّ.

وكان أبو سفيان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعته حليمةُ أياماً، وكان تِربَ رسول الله ﷺ وإلْفَه، فلما بُعث رسول الله ﷺ نصب له العداوة، وهجاه، وهجا أصحابَه، وأقام عشرين سنة عدوّاً لله ورسوله والمؤمنين، لا يتخلّف عن مَوضعٍ تسير فيه قريش لقتال رسول الله ﷺ إلا وهو معهم، وإليه أشار حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، يقول: [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاءُ[1]

وأقام على ذلك حتى تحرك رسول الله ﷺ لغَزاة الفتح، فألقى الله الإسلامَ في قلبه، قال: فقلتُ: قد ضرب الإسلامُ بجِرانه، فمع مَن أكون، ولمن أصحب؟ فقلتُ لزوجتي ولولدي: تهيَّؤوا للخروج، فقد أظلَّ قُدوم محمد، فقالوا: قد آن لك أن تُبصرَ أن العرب والعجمَ قد اتَّبعت محمداً، وأنت مُوضعٌ في عداوته، وكنتَ أولى الناس بنصره!

قال: فخرجتُ حتى نزلتُ الأبواء، ومعي غُلامي مَذكور، وقد نزلت مُقَدِّمته الأبواء، وكان قد نذر دمي، فتنكّرتُ حتى طلع بركبه، فقَصدتُه من تلقاء وجهه، فأعرض عني، فتحوَّلتُ إلى الناحية الأُخرى، فأعرض عني، فأخذني ما قَرُب وما بَعُد، وقلت: أنا مقتولٌ قبل أن أصلَ إليه، فأسلمتُ، وكنتُ أظنُّ أن أصحابَه يَفرحون بإسلامي، وأنه يَسرُّه ذلك، فلما رأى الناس [إعراض رسول الله ﷺ عني] أعرضوا جميعاً، وكان معي جعفر وعبد الله ابن أبي أمية، أخو أمِّ سلمة زوج رسول الله ﷺ، وابن عمّة رسول الله ﷺ، فقالت له أمُّ سلمة: يا رسول الله، لا يكون ابن عمِّك، وأخي ابنُ عمتك[2] أشقى الناس بك، فقال:

---

(١) ديوانه ١/ ١٨.

(٢) في (أ) و(خ): عمك، هنا وفي الموضع الآتي، والمثبت من مغازي الواقدي ٨١٠، والتبيين ١٠٥.

أما ابنُ عمي فهو الذي هجاني وقال ما قال، وأما ابن عمتي فهو القائل: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

قال: ونظر إليّ عمر بن الخطاب، فأغرى بي رجلاً من الأنصار، يقال له نعمان بن الحارث، قال لي: يا عدوَّ الله، أنت الذي كنتَ تُؤذي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، واستطال عليَّ حتى جعلني مثلَ الحَرَجَة[1]، والناسُ يُسرُّون بما يفعل بي، فدخلتُ على العباس، فقلتُ: يا عمّ، قد كنتُ أرجو أن يَفرح رسول الله ﷺ بإسلامي؛ لقَرابتي منه، وشرفي في قومي، وقد كان منه ما رأيتَ، فكلّمه فيّ ليَرضى عني، فقال: لا والله لا أُكلِّمه فيك أبداً بعدما رأيتُ منه ما رأيت، إلا أن أرى وجهاً، إني أُجِلُّ رسول الله ﷺ وأهابُه، قلت: فكُفَّ عني الرجل، فأرسل إليه: يا نُعيمان، إن أبا سفيان ابنُ عمّ رسول الله ﷺ وابن أخي، وإن يكن ساخطاً عليه فسَيرضى عنه، فكُفَّ عنه. قال: فبعد لأيٍ ما كفَّ عني.

ولزمتُ بابَ رسول الله ﷺ وهو يُعرض عنّي، فلم أزل كذلك حتى فتح مكة، وأنا لا أُفارقُه، ودخل عليه نساءُ بني عبد المطلب فرَقَّقْنَه عليَّ وقلن: برّك وعطفك، فنظر إليَّ نظراً هو أَلينُ من ذلك، حتى خرج إلى هوازن وخرجتُ معه.

فلما لَقيناهم حملوا الحملةَ التي قال الله تعالى فيها: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]

وثبت رسول الله ﷺ على بغلته الشهباء، فاقتحمتُ عن فرسي، وبيدي السَّيف صَلْتاً قد كسرتُ جَفْنَه، والله يَعلم أني أُريد الموتَ دونه، وهو ينظر إليّ، وقد أخذ العباس بلجام بَغلته، وأخذتُ بالجانب الآخر، فقال للعباس: «مَن هذا؟» قال: أخوك وابنُ عمك أبو سفيان، فقال: «أخي لعَمري»، فقال: يا رسول الله، ارضَ عنه، فقال: «قد فعلت»، قال: فأُقبِّلُ رجلَه في الرِّكاب، ثم هزم الله القوم[2].

وحَسُن إسلامُ أبي سفيان، وهاجر إلى المدينة، وأقام بها ملازماً للمسجد، ناسكاً زاهداً، وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج، وأقام لا يرفع طَرفه إلى النبي ﷺ

---

(١) الشجر الملتف.

(٢) مغازي الواقدي ٨٠٦ـ٨١٠، وطبقات ابن سعد ٤/ ٤٦، والمعارف ١٢٦، والاستيعاب (٢٩٦٥)، والتبيين ١٠٥، والتوابين ١٣٠ـ١٣٤، والإصابة ٤/ ٩٠.

حياءً منه، وكان من أماثل قريش.

وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المهاجرين[١].

شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنيناً والطائف، وكان رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: «أخي وابنُ عمي وخيرُ أهلي، وقد أعقبني الله من حمزة أبا سفيان» وكان يُقال له: أسد الله وأسد رسوله، وأطعمه بخيبر مئةَ وَسْق.

وله في رسول الله ﷺ أشعار كثيرة، منها: قال: [من الطويل]

لَعمرك إني يوم أحملُ رايةً لتَغْلِبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدِ
لكا لمُدْلِجِ الحَيْران أظلمَ ليلُه فهذا أوان اليوم أُهدى وأهتدي
هَدانيَ هادٍ غير نفسي ودَلَّني على الله مَن طَرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ

فقال رسول الله ﷺ: «بل نحن طردناكم كلَّ مُطَرَّد»[٢].

وكان أبو سفيان يشبه رسول الله ﷺ، وقال يوم حنين: [من الطويل]

لقد علمتْ أفناء كعبٍ وعامرٍ غداةَ حُنَين حين عمَّ التَّضَعْضُعُ
بأني أخو الهَيجاءِ أركبُ حدَّها أمام رسول الله لا أتَتَعْتَعُ
رجاءَ ثواب الله والله واسِعٌ إليه تعالى كلُّ أمرٍ سيَرجِعُ[٣]

ولما احتضر بكى أهلُه، فقال: لا تَبكوا، فوالله ما تَنَطَّفتُ بخَطيئةٍ منذ أسلمتُ، أي: ما تلطَّختُ، وكان قد حجَّ، فحلق الحلاقُ رأسَه بمنى، وكان فيه ثُؤلول، فقطعه، فعاد إلى المدينة فمات منه، فكانوا يرون أنه شهيد، وذلك في سنة أربع عشرة، وصلَّى عليه عمر بن الخطاب، ودُفن في دار عقيل بن أبي طالب، وهو الذي حفر قبرَ نفسِه قبل موته بثلاثة أيام، وقيل: مات في سنة خمس عشرة، وقيل: في سنة عشرين، وقيل: بعد ذلك، والأوّل أشهر.

ذكر أولاده: كان له من الولد جعفر، وأمُّه جُمانة بنت أبي طالب، شهد مع أبيه

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٤٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٤٧، والاستيعاب (٢٩٦٥).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٤٩.

الفتح وحُنيناً والطائف، ومات في أيام معاوية، وعبد الله ويُكنى أبا الهيجاء[١]، رأى رسول الله ﷺ، وروى عنه الحديث، فمن روايته عن النبي ﷺ: «ما قُدِّست أمَّةٌ لا يُؤخذُ لضعيفها حقّه من قويّها غير مَتَتعتِع»[٢].

وقال البلاذري: جعفر وعبد الله أمُّهما جُمانة، ولا عقبَ لهما[٣]، وجُمانة وحَفصة أمُّهما فغمة من بني دُهْمان، وقيل: إنها أمُّ أبي الهيجاء أيضاً، وأمه وأم كلثوم لأم ولد[٤]، وقد انقرض عَقب أبي سفيان.

وقد أخرج ابن سعد حديثاً فقال: حدثنا يزيد بن هارون وعَفّان بن مُسلم قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أبو سفيان بن الحارث سَيِّدُ فِتيان أهلِ الجنة»[٥].

أم عُمارة[٦]

واختلفوا في اسمها، فقال ابن سعد: هي نَسيبة بنت كعب بن عمرو ابن عوفٍ، من بني النجار، وكذا نسبها ابن ماكولا وعامة النُّسَّابِ[٧].

شهدت العقبة مع السَّبعين، وأسلمت وبايعت، وشهدت أُحداً والحُديبيةَ وخيبرَ وحُنيناً وعمرة القضيَّة واليمامة.

---

(١) في الطبقات ٤/ ٤٥، والإصابة ٢/ ٣٢٠، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٦٦ (مخطوط) وأنساب الأشراف ٣/ ٣٤٤: أبو الهيّاج.

(٢) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة ٢/ ١١٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٣٦٦، وأورده ابن عبد البر في الاستيعاب (١٣٩٣)، وابن قدامة في التبيين ١٠٨، والحافظ في الإصابة ٢/ ٣٢٠.

(٣) أنساب الأشراف ٣/ ٣٤٤.

(٤) في طبقات ابن سعد ٤/ ٤٥: وجمانة وحفصة وأمهم فغمة .... وأميّة وأمها أم ولد، ويقال بل أمّها أم أبي الهياج، وأمّ كلثوم وهي لأم ولد.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ٤٩.

(٦) من قوله: وقال موسى بن عقبة، في ترجمة أبي قحافة، إلى هنا ليس في (ك).

(٧) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٣، والإكمال ٧/ ٣٣٨، والاستيعاب (٣٥٤٩)، والمنتظم ٤/ ١٨٩، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٣٤٥، والاستبصار ٨٢، والإصابة ٤/ ٤٧٩، وتوضيح المشتبه ٩/ ٧٨، وتهذيب الكمال (٨٥٨٨) وفروعه.

وقال ابن سعد: وأمُّها الرباب بنت عبد الله بن حبيب، من الخَزْرَج، وهي أختُ عبد الله بن كعب شهد بدراً، وأختُ أبي ليلى عبد الرحمن بن كعب أحدِ البكَّائين لأبيهما وأمِّهما.

وتزوَّج أمَّ عُمارة بنت كعب: زيدُ بن عاصم بن عمرو النّجاري، فولدت له عبدَ الله وحبيباً، صحبا رسولَ الله ﷺ، ثم خلف عليها غَزيّة بن عمرو بن عطيّة من بني النجار أيضاً، فولدت له تميماً وخولة.

وحكى ابنُ سعدٍ عن الواقدي قال: شهدت البَيعة ليلةَ العَقَبة، وبايعتْ مع القوم، وشهدت أُحداً مع زوجها غَزيّة بن عمرو، لأنها تزوَّجت به أيضاً، شهدت هي وابنَيْها، وخرجت معهم بشَنٍّ في أول النهار، تُريدُ أن تَسقي الجرحى، فقاتلت يومئذٍ، وأبلت بلاءً حسناً، وجُرِحت اثني عشر جُرحاً بين طعنةٍ برمحٍ أو ضربةٍ بسيفٍ.

قال: وقالت: لما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله ﷺ، فجعلتُ أُباشر القتال بنفسي، وأذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمي بالقوسِ حتى خَلَصَتْ إليَّ الجراحُ، وأقبل ابنُ قَميئة يُريد رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضَّربة، وكان على عاتقِها ضربةٌ لها غورٌ أجوفُ، قالت: ولقد ضربتُه ضربات، ولكن عدوَّ الله كان عليه دِرعان[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «لَمَقَامُ نَسيبة بنت كعب اليوم خيرٌ من مقام فُلان وفلان، ما التفتُّ يَميناً وشمالاً إلا رأيتُها تُقاتل دوني»، وجُرحت ثلاث عشرة جراحة، وضربها ابنُ قَميئة على عاتقها ضربةً فداوتها سنةً، ولما نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حَمْراء الأَسَد شَدَّت عليها ثيابَها، فما استطاعت من نَزْف الدَّم، فلما رجع رسول الله ﷺ من الحمراء، ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب يَسأل عنها، فرجع فأخبره بسلامتها فسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك.

وقال رسول الله ﷺ يوم أُحد: «ومَن يُطيق ما تُطيقين يا أمَّ عُمارة»، وكانت قد قتلتْ يوم أُحد جماعة.

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٣-٣٨٤، ومغازي الواقدي ١/ ٢٦٨-٢٦٩، ومن هنا إلى قوله: وقالت أم عمارة دخل علي.... ليس في (ك).

وقال رسول الله ﷺ عن أم عُمارة وابنيها وزوجها لما وَلّوا عنه يوم أُحد[١]: «اللهمَّ اجعلهم رِفاقي في الجنة»، فقالت أمُّ عُمارة: ما أُبالي ما أصابني من الدنيا.

قال ضَمْرة بنُ سعيد: أُتي عمر بن الخطاب بمُروط، فكان فيها مِرْطٌ جيّد، فقال بعضهم: لو أرسلتَ به إلى صَفيَّة بنت أبي عُبيد، زوجة عبد الله بن عمر، وذلك حِدْثانُ ما دخلتْ على ابن عمر، فقال: ابعثوا به إلى مَن هو أحقُّ منها: أمّ عُمارة، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يومَ أُحد: «ما التفتُّ يميناً وشمالاً إلا وأنا أَراها تُقاتل دوني»[٢].

وقال محمد بن يحيى بن حَبّان: جُرحت أمّ عُمارة بأُحد اثني عشر جُرحاً، وقُطعت يدُها باليمامة، وجُرحت يوم اليمامة سوى يدها أحد عشر جُرحاً، فقدمت المدينة وبها الجراحات، فلقد رؤي أبو بكر وهو خليفة يَأتيها ويَسأل عنها، وابنُها حَبيب بن زيد الذي قطّعه مُسيلمة، وابنُها عبد الله بن زيد قُتل يوم الحَرَّة[٣].

روت أمّ عُمارة الحديث عن رسول الله ﷺ.

وقالت أمُّ عمارة: دخل عليَّ رسول الله ﷺ عائداً، فقرَّبتُ إليه طَفَيْشَلةً[٤] وخُبزَ شعير، قالت: فأصابَ منه وقال: تعاليْ كُلي، فقلت: يا رسول الله إني صائمة فقال: «إن الصائم إذا أُكلَ عنده لم يزلْ تصلي عليه الملائكةُ حتى يُفْرغَ من طعامِهِ»[٥].

نوفل بن الحارث

ابن عبد المطلب بن هاشم، ابنُ عمّ رسول الله ﷺ، وأمُّه غَزِيّة بنت قيس بن طَريف، فِهريّة، ونوفل من الطبقة الثانية من المهاجرين، وكُنيته أبو الحارث.

قال ابن الكلبي: إن قريشاً أخرجتْ مَن كان بمكة من بني هاشم مُكرَهين إلى بدر، فقال نوفل: [من الطويل]

(١) يعني لما ولّى عنه الناس وثبتت أم عمارة وزوجها وابنيها، انظر مغازي الواقدي ٢٧٠-٢٧٣، وطبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٤-٣٨٦.

(٢) مغازي الواقدي ٢٧١، وطبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٦.

(٣) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٧.

(٤) نوع من المرَق.

(٥) أخرجه ابن سعد ١٠/ ٣٨٦، وأحمد في مسنده (٢٧٠٦٠). ومن قوله: وقالت أم عمارة دخل علي.. إلى هنا، ليس في (أ) و(خ)، وقد جاءت ترجمة أم عمارة في (ك) بعد ترجمة هند بنت عتبة.

حرامٌ علينا حَربُ أحمدَ إنني أرى أحمداً منا قريباً أواصِرُه
فإن تكُ فِهرٌ ألَّبتْ وتَجمَّعتْ عليه فإن الله لا شكَّ ناصِرُه

فأُسِر يوم بدر، وحضر بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له: «افْدِ نفسَكَ»، قال: ليس لي مال، قال: «فأين رِماحُك التي بجُدَّة(١)؟»، وكانت ألفَ رُمح لم يعلم بها أحد، فقال له: أشهدُ أنك رسول الله، وفدى نفسه بها، ثم رجع إلى مكة، وأسلم، ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة هو والعبّاس أيام الخندق، وشهد فتح مكة ويومَ حُنين، وثبت مع رسول الله ﷺ، وكان عن يمينه، وأعان رسول الله ﷺ بثلاثة آلاف رُمح.

وقال لما أسلم: [من الطويل]

إليكم إليكم إنني لستُ منكمُ تَبَرَّأتُ من دين الشّيوخِ الأكابرِ
لعَمريَ ما ديني بشيءٍ أبيعُه وما أنا إن أسلمتُ يوماً بكافرِ
شهدتُ على أن النبيَّ محمداً أتى بالهُدى من ربِّه بالبَصائرِ
وإن رسولَ الله يدعو إلى التُّقى وإن رسولَ الله ليس بشاعرِ
على ذاك أحيا ثم أُبعثُ مُوقِناً وأُثوى عليه مَيِّتاً في المقابرِ

ولما قدم نوفل والعباس على رسول الله ﷺ المدينة آخى بينهما، وكانا شَريكَين في الجاهلية، مُتَفاوِضَين [في المال]، مُتَحابَّين مُتصافِيَيْن، وأَقطَعهما رسولُ الله ﷺ بالمدينة منزلَيْن متجاوِرَين.

وتوفي نوفل في سنة أربع عشرة بالمدينة بعد استخلاف عمر بسنة وثلاثةِ أشهر، وصلَّى عليه عمر، ومشى في جنازته، ودُفن بالبقيع، وتوفي قبل أخيه أبي سفيان بأربعة أشهر إلا ثلاثة عشر ليلة، وقيل: مات سنة خمس عشرة(٢).

ذكر أولاده: كان له من الولد الحارث وعبد الله والمغيرة وسعيد وعبد الرحمن وربيعة.

فأما الحارث فكان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ، أسلم مع أبيه، وصحب رسول الله ﷺ وروى عنه، واستعمله رسول الله ﷺ على بعض أعمال مكة، ووُلد له ولدٌ

(١) في (أ) و(خ): الذي تجده، والمثبت من طبقات ابن سعد ٤/ ٤٢، والمنتظم ٤/ ١٨٨.
(٢) انظر في ترجمة نوفل طبقات ابن سعد ٤/ ٤١-٤٣، والمعارف ١٢٧، وأنساب الأشراف ٣/ ٣٣٨، والاستيعاب (٢٥٦٥)، والمنتظم ٤/ ١٨٨، والتبيين ٩٩، والإصابة ٣/ ٥٧٧.

سمَّاه عبدَ الله، فأتى به النبيَّ ﷺ، فحنّكه بيده، ودعا له، وعبدُ الله هو الذي يُلَقَّب بَبَّه.

وقال الواقدي: ولَّى أبو بكر وعمر وعثمان الحارث بن نوفل مكة، وتزوَّج دُرَّة بنت أبي لهب، وسكن المدينة، ثم انتقل إلى البصرة، واختطّ بها داراً، ونزلها في ولاية عبد الله بن عامر، ومات في آخر خلافة عثمان، وكان له أولاد، منهم: عبد الله ومحمد الأكبر وربيعة وعبد الرحمن ورَمْلة وأم الزُّبير، وأم الجميع هند بنت أبي سفيان ابن حرب، وأمُّها أم عمرو بنت أمية.

فأما عبد الله فسبب لقبه أن أمَّه كانت تُرقّصه وتقول: [من الرجز]

لأُنْكِحَنّ بَبَّهْ
جاريةً خِدَبَّهْ
عَظيمةً كالقُبَّهْ
إذا بدتْ في نقبهْ
تَمشُط رأسَ لعبهْ
تحبُّ أهلَ الكَعبةْ
كريمةً في النِّسبهْ
مُكرَمَةً مُحَبَّهْ

قال عمرو بن دينار: قدم بَبَّة مكة، فجاء ابنَ عمر، فسلَّم عليه فلم يَبَشَّ به، فقال له: أما تعرفني؟ قال: بلى ألستَ بَبَّة، فشق عليه، وتضاحك القوم، ففَطِن ابنُ عمر، وقال: ليس هذا يَعيب الرَّجُلَ الحادر يُقال له: بَبَّة(١).

وكان بَبَّة قد سفر بين الحسن ومُعاوية في الصُّلح، وسأل معاويةَ أن يُولِّيه فقال: لام ألف، فنزل عبد الله البصرة مع أبيه، فلما مات يزيد بن معاوية، ووثب أهل البصرة على عبيد الله بن زياد واختفى، بايع أهلُ البصرة بَبَّة حتى يجتمعَ الناس على إمام، فأقام عليهم شهوراً، ثم قال: ولُّوا أمرَكم مَن شئتم، فأمَّروا عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٧٣، وتاريخ دمشق ص١٠٠ (مجمع اللغة، عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد)، وفيهما: إن الذي قلت لا بأس به، ليس يعيب الرجل، إنما كان غلاماً نادراً...

التَّيمي، وأقام بَبَّة بالبصرة إلى زمن الحجَّاج [ثم خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث، فلما هُزم ابن الأشعث خاف بَبَّة الحجَّاج]، فهرب إلى عُمان، فمات بها في سنة أربعٍ وثمانين، وهو شيخٌ كبير في أُذُنه ثِقل.

وكان لعبد الله بَبَّة ولدٌ اسمُه عبد الله، ويقال له: الأرجوان لحُسنه، وكنيتُه أبو يحيى، خرج مع سليمان بن عبد الملك إلى الحج، فقتلته السّموم وحرُّ الشمس بالأَبواء سنة تسعٍ وتسعين، فصلَّى عليه سُليمان، وحَزِن عليه.

وأما عبد الله بن نوفل بن الحارث فوُلد على عهد رسول الله ﷺ، ولم يَحفظ عنه شيئاً، وكان يُشبه رسول الله ﷺ، ووَلي قضاءَ المدينة لمعاوية، ومروان والياً على المدينة، وقال أبو هريرة: وهو أولُ قاضٍ رأيتُه في الإسلام بها.

قال ابن سعد: وأهلُه ينكرون هذا، مات سنة أربعٍ وثمانين، وقيل في أيام مُعاوية.

وأما المغيرة بن نوفل فإنه وُلد على عهد رسول الله ﷺ بمكة، وقيل لم يُدرك من حياة رسول الله ﷺ سوى ستّ سنين، وكنيته أبو يحيى، وابنه يحيى من أُمامة بنت أبي العاص، وأمها زينب عليها السلام بنتُ رسول الله ﷺ، كان قد تزوّجها بعد عليّ رضي الله عنه، وقيل إن عليًّا أوصاه أن يتزوَّجها خوفاً لا يتزوَّجها معاوية.

روى المغيرة الحديث عن رسول الله ﷺ، وقيل: إنه لم يسمع منه، فحديثُه مُرسَل، وكان قاضياً في زمن عثمان رضي الله عنه، ولما ضرب ابنُ مُلْجم علياً كرم الله وجهه، وخاف الناس منه، حمل عليه المغيرة بقَطيفة، فرمى بها عليه، واحتمله فضرب به الأرض، وقَعد على صدره، وأخذ السيفَ منه، ثم حمله إلى الحبس.

قال الواقدي: وولّاه الحسن الكوفة، وسار إليه معاوية وهو عليها، وأعقب المغيرة أولاداً فُضلاء، فوُلد له عبد الله بن المغيرة، وكُنيته أبو محمد، مات في أيام عمر بن عبد العزيز، وإسحاق بن المغيرة، وابنُه لوط بن إسحاق، كان عالماً زاهداً عابداً فقيهاً، مات في أيام أبي جعفر المنصور، وابنُه محمد بن لوط كان عالماً فقيهاً، مات في أيام أبي جعفر أيضاً، وعبد الملك بن المغيرة بن نوفل، وُلد له يزيد بنُ عبد الملك، وكُنيته أبو خالد، كان فقيهاً فاضلاً.

[وأما سعيد فكان فقيهاً]، وكانت له ابنةٌ اسمُها رُقَيَّة، تزوَّجت بكر بنَ حُصين، من بني عامر بن لُؤيّ، فقال لها عبد الملك: ترون أن تنكح المرأة عبدها فقالت: [من الرجز]

إن القُبورَ تنكح الأيامى النِّسوة الأرامل اليتامى
المرءُ لا تبقى له السُّلامى

وأما عبد الرحمن وربيعة ابنا نوفل فلا بقيةَ لهما.

وكان لنوفل بنات، منهن أمّ سعيد وأمّ المغيرة وأمّ حكيم وأم ظريبة بنت سعد بن أبي وقّاص(١).

ولنوفل عَقِبٌ كثيرٌ بالمدينة والبصرة وبغداد، وليس له رواية(٢).

هند بنت عُتبة

ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. قال ابن سعد: وأُمُّها صفية بنت أُمية بن حارثة بن الأَوْقص بن مُرَّة، من بني سُلَيم(٣)، وأوَّل مَن تزوَّجها حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم(٤)، فولدت له أباناً.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق، شيخٍ من أهل المدينة من بني عامر بن لؤي قال: قالت هند لأبيها: إني امرأةٌ قد ملكتُ أمري، فلا تُزوِّجْني رجلاً حتى تَعْرِضَه عليَّ. فقال لها: ذلك لك. ثم قال لها يوماً: إنَّه قد خطبك رجلانِ من قومك، ولستُ مُسمِّياً لك واحداً منهما حتى أصفَه لك(٥).

---

(١) كذا، والذي في طبقات ابن سعد ٤/ ٤١ : أم سعيد وأم المغيرة وأم حكيم وأمهم ظريبة بنت سعيد بن القشب، وأم ظريبة أم حكيم بنت سفيان بن أمية، وهي خالة سعد بن أبي وقاص.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٥٢-٥٣ و ٥/ ٢١-٢٦ ، وأنساب الأشراف ٣/ ٣٣٨-٣٤٦ ، والاستيعاب (٤٣٥)، والتبيين ١٠٠-١٠٣ ، والإصابة ١/ ٢٩٢ ، وترجمة نوفل بن الحارث ليست في (ك).

(٣) في (أ) و(خ) زيادة بعد هذا الكلام نصها: وكانت هند امرأة حازمة شاعرة، ذات نفس وأنفة. وموضعها في (ك) بعد صفحتين.

(٤) في (خ) زيادة: ولقبه الفاكه كذا قيل، وانظر الصفحة التالية.

(٥) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٢٣ ، وقول ابن سعد هذا ليس في (أ) و(خ).

وحكى الربيع عن الشافعي قال: كان عتبةُ قد زوَّج ابنتَه هنداً رجلاً من قريشٍ، فطلَّقها أو مات عنها، فقالت لأبيها: إنَّك زوَّجْتَني ولم تُشاورني، فإن عُدْتَ فشاورني، فخطبها أبو سفيان بن حربٍ وسُهيل بن عمرو، فقالت: صِفهما لي. فقال: أما سهيل فتقضين عليه في أهله وماله، وأما أبو سفيان فلا تُخالفينه إلّا نهاك(١)، وكلاهما سيِّدان. فاختارت أبا سفيان، وقالت: إن أتاني منه ولد يكن سيِّداً، وإن أتاني ولدٌ من سُهيلٍ يكن(٢) أحمق. فتزوَّجها أبو سفيان فولدت له مُعاوية، وتزوَّج سهيلٌ امرأةً فولدت له ولداً، فمرَّ عليه ذات يومٍ رجلٌ ومعه ناقةٌ وشاةٌ، فقال لأبيه سهيل: يا أبه، هذه بنتُ هذه، فقال سُهيل: يرحمُ الله هنداً.

ولم يذكر ابنُ سعدٍ الفاكه في أزواجِ هند، ويقال: إن الفاكه [هو] حفص، والفاكه لقب(٣).

وذكر ابن عبد ربِّه في كتاب «العقد» وقال: كانت هند عند الفاكه بن المُغيرة المخزومي، وكان له بيتٌ للضيّافة يغشاه الناسُ فيه بغير إذن، فخلا ذلك البيتُ يوماً، فدخل الفاكهُ وهند فناما فيه وقت القائلةِ، فانتبه الفاكه وخرج لبعض حاجته، وجاء رجلٌ ممَّن كان يدخلُ بيت الضيافة، فدخل، فرأى هنداً نائمةً فولَّى هارباً، وعاد الفاكه فرأى الرجل خارجاً، وهند نائمةٌ، فضربها برجله فانتبهت، فقال: من هذا الخارج من عندك؟ فقالت: والله ما رأيتُ أحداً، فقال لها: الحقي بأهلك، وخاض الناسُ في أمرها، فقال لها أبوها: أخبريني خبرك، فإن كان صادقاً دسستُ إليه مَن يقتلُه، فينقطع العارُ، وإن كان كاذباً حاكمته إلى الكاهن، فقالت: والله إنَّه لكاذِبٌ، فقال عتبةُ للفاكه: إنَّك قد رَميتَ بنتي ببُهتانٍ عظيمٍ، فإما أن تُبيِّن، وإمَّا أن تُحاكمني إلى الكاهن، فقال: أُحاكمك.

فخرجا إلى الكاهن في جماعةٍ من أهلهما، فلما شارفوا بلادَ الكاهن تغيَّر وجهُ هند، فقال لها أبوها: هلا كان هذا قبل أن يَشتهر خُروجُنا بين الناس، فقالت: والله ما ذاك لمكروهٍ [قبلي]، ولكنكم تأتون بشراً يُصيبُ ويُخطئُ، ولعله يُخطئ فيَسِمني بميسمٍ

(١) في تاريخ دمشق ١٩/ ٥٦٨: وأما أبو سفيان فرجل شرس، لا تتكلمين إلا نهاك، ولا تخالفينه إلا ضربك.

(٢) في النسخ: يكون، في الموضعين.

(٣) من قوله: ولم يذكر ابن سعد... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

يَبقى على ألسنة العرب، فقال لها أبوها: صدقتِ، ولكني سأختبره لك، ثم صفر لمهره فبال وأدلى، فعمد إلى حَبَّةِ بُرٍّ، فتركها في إحليله وأوكى عليها، ثم نزلوا على الكاهن فأكرمهم، فقال له عُتبة: قد أتيناك في أمر وقد خبأت لك خبيئاً. فقال الكاهن: ثمرة في كَمَرة. فقال: أُريد أبينَ من هذا. فقال: حَبَّةُ بُرٍّ في إحليل مُهر. فقال: صدقتَ، فانظر في أمر هذه النسوة، وكان قد خَرج معها نسوة من بني عبد مناف ـ فجعل يَمسح على رأس كل واحدةٍ منهن ويقول: قومي لشأنِك، فلم يَبقَ غير هندٍ فقال: تقدمي ومسح على رأسها وقال: قومي غير رَسْحاء ولازانية، وستلدين ملكاً يقال له معاوية. فقامت، فأخذ الفاكه بيدها، فنترتها منه، وقالت: والله لأَجتهدنَّ أن يكون من غيرك، وفارقته، فتزوَّجها أبو سفيان، فولدت معاوية(١).

وقال الجوهري: الرسحاءُ ـ بسين وحاء مُهملتين ـ القليلةُ لحم العَجُز والفخذَين(٢).

قلت: وكانت هند على غير هذه الصفة، [ذكر قصتها الموفق] بغير هذه العبارة، وزاد فيها بأن قال: كانت هند امرأةً حازمةً شاعرةً، ذات نفسٍ وأَنَفةٍ، فيُروى أنها كانت قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة، وكان من فتيان قُريشٍ، له مجلسٌ يأتيه فيه نُدماؤه، فيدخلون بغير استئذان، فدخلتْه هند يوماً وليس فيه أحدٌ، فنامت فيه، وجاء بعض نُدَماء الفاكه فدخل البيت فرآها نائمة فخرج، فلقيه الفاكهُ خارجاً، فدخل فوجدها نائمةً، فقذفها بالرجل، ثم خرجوا إلى الكاهن، فلما قربوا من الكاهن اصفرَّ لونُها، فقال لها أبوها: إن كنت قد ألممت بذنبٍ فأخبريني حتى أحلَّ هذا الأمر قبل الفضيحة، وذكرها. وفيه: فضرب الكاهنُ بين كتفيها وقال: قومي حصاناً غير زانية(٣).

قال: ولما ولدت معاوية مر بها رجلٌ وهي ترقصه وهو صغير، فقال الرجلُ: إني أراه سيسود قومَه، فقالت هند: ثكلتُه إن لم يَسُد غير قومه(٤).

---

(١) العقد الفريد ٦/ ٨٦-٨٧.

(٢) الصحاح (رسح).

(٣) من قوله: قلت وكانت هند على غير هذه الصفة...إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، وما سلف بين معكوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) التبيين ٢١٨-٢١٩.

وقد ذكرنا أن هنداً أسلمت يوم الفتح وبايعت بعد إسلام زوجها أبي سفيان، وردَّها رسولُ الله إما بنكاحٍ جديدٍ أو بالنكاح الأول على اختلاف الروايات. وذكرنا في غزاة الفتح أنها كَلَّمت رسول الله ﷺ وقالت: أنا هند بنتُ عتبة، فقال: مرحباً بك، وأنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلٌ شحيح، لا يُعطيني وولدي ما يكفيني، فقال: «خُذي من ماله ما يَكفيك وولدك بالمعروف»(١)، وأنها لما بايعت رسول الله ﷺ وقال: «ولا تقتلن أولادَكن» قالت هند: أنت قتلتَهم(٢).

وقد أخرجه ابنُ سعدٍ عن عبيد الله بن موسى، عن عمر بن أبي زائدة(٣)، عن الشعبي.

ولم يذكر ابن سعدٍ تاريخَ وفاتها، وذكره ابن إسحاق والزُّبير بن بكار والموفق في الأنساب فقال: تُوفّيت هند بنت عتبة في سنة أربع عشرة، في اليوم الذي تُوفّي فيه أبو قُحافة والد الصديق بمكة(٤).

وذكرها جدّي في «التلقيح»(٥) وقال: لما قال لها رسول الله ﷺ: «ولا تقتلْنَ أولادكن» قالت(٦) له: وهل تركتَ لنا ولداً إلا قتلتَه يوم بدر.

وفي الصحابيات جماعةٌ اسمُ كلٍّ واحدة منهن هند، إحداهن هذه، وهند بنت أسيد ابن حُضَير، وهند بنت [أبي] أُميَّة وهي أم سلمة زوجةُ النبي ﷺ وهند خولانية امرأة بلال بن رباح، وهند بنت أوس بن شريق، وهند بنت أبي سفيان بن حرب وأمُّها صفية بنت أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس(٧).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤).

(٢) سلف في السيرة.

(٣) في (ك) عن عبد الله بن موسى بن عمران بن أبي زائدة، وليس في (أ) و(خ) إلى نهاية الفقرة، والمثبت من تاريخ دمشق ١٩/ ٥٧٣ ، وتهذيب الكمال ٥/ ٦٤ (ترجمة عبيد الله) و ٣٦٤ (ترجمة عمر بن أبي زائدة)، وانظر طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٢٦ .

(٤) التبيين ٢١٩ .

(٥) في ص٣١٩ .

(٦) من قوله: قالت هند أنت قتلتهم... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٧) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٤٦ ، وما بين معكوفين منه.

وقال الهيثم[١]: حضرت هند مع زوجها أبي سفيان يوم اليرموك، وكان لها من الولد: معاويةُ وحنظلة ومحمد، قُتل حنظلة يوم بدرٍ. انتهت ترجمة هند[٢].

أم سَليط بنت عُبيد بن زياد

أنصاريّة، وهي أمُّ قيس أيضاً، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، وشهدت أُحداً وحنيناً، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَتعاهَدُها.

فأخرج البخاري عن عمر أنه قَسم مُروطاً بين نساء أهل المدينة، فبقي منها مِرطٌ جيّد، فقيل له: أعطِه لابنة رسول الله ﷺ التي عندك ـ يُريدون أمّ كلثوم بنت علي رضي الله عنهما ـ فقال: أمُّ سَليط أحقُّ به منها، فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ، وكانت تَزْفِرُ لنا القِربَ يوم أُحد، فبعث به إليها[٣].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) من قوله: وفي الصحابيات جماعة... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) هذه العبارة من (ك)، وجاء عقبها ترجمة أم عمارة، سلفت قريباً، وانظر في ترجمة هند إضافة إلى ما سبق الاستيعاب (٣٤٧٧)، والإصابة ٤/ ٤٢٥ .

(٣) صحيح البخاري (٢٨٨١)، وانظر ترجمة أم سليط في طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٩ ، والاستيعاب (٣٥٣١)، والمنتظم ٤/ ١٨٩ ، والإصابة ٤/ ٤٦٠ . وترجمة أم سليط ليست في (ك).